جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: تاريخ

الأسقيا: محمّد التّوري(897-935هـ) (1493-1530م) من خلال كتابَيْ تاريخ الفتاش وتاريخ السّودان

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصّص:تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالبين:

- سيد علي قنفود.
- أمين بشير باي.

إشراف:

د/ أم الخير عثماني

السّنة الجامعيّة: 2019/2018م1441/1440هـ

جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة-

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة: تاريخ

الأسقيا: محمّد التّوري(897-935هـ) (1493-1530م) من خلال كتابيّ تاريخ الفتاش وتاريخ السّودان

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصّص:تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالبين:

- سيد علي قنفود.

-أمين بشير باي.

إشراف:

د/ أم الخير عثماني

لجنة المناقشة:

د. سليماني يوسف -رئيسا-

د. عثماني أم الخير -مشرفا-

د. شعباني نور الدين -عضوا-

السّنة الجامعيّة: 2019/2018م1441/1440هـ

شكر

سبحان الله عزّ وجلّ الذي وهبنا نعمة العقل للوصول إلى ما نحن عليه

فشكرنا الكبير والأوّل له –عزّو جلّ- بعد حمده...

كما نتقدّم بأسمى عبارات الشّكر والتّقدير لجميع أساتذة قسم التّاريخ.

إلى كلّ من ساهم من قريب، أو من بعيد في إثراء معارفنا، وتوجيهنا.

ونتقدّم بالشّكر إلى الأستاذة: عثماني أم الخير على جميل مساندتها لنا،

وتوجيهنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

وإلى كلّ من ساعدنا بكلّ تشجيع خالص.

والشّكر إلى الجميع

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

الوالدين حفظهما الله اللّذين سهرا على تربيتي وتعليمي، ولم يبخلا عليّ بشيء

أطال الله عمرهما.

إلى كلّ العائلة.

وكلّ الزّملاء بقسم التّاريخ، وأساتذة تخصّص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

وإلى كلّ من يعرفني ألف تحيّة وسلام، وأعزّ التّهاني لجميع الأصدقاء.

أمين

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

الوالدين حفظهما الله اللذان سهرا على تربيتي وتعليمي ولم يبخلا علي بشيء أطال الله عمرهما.

إلى كلّ العائلة.

كلّ الزّملاء بقسم التّاريخ، وأساتذة تخصّص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

وإلى كلّ من يعرفني ألف تحيّة وسلام، وأعزّ التّهاني لجميع الأصدقاء

سيد علي

مقدمة

مقدمة:

تعتبر "**سنغاي**" من أبرز الممالك التي ظهرت بالسّودان الغربي، والتي قامت على أنقاض مملكة مالي، حيث مثّل القرنان التّاسع والعاشر الهجريين الخامس والسّادس عشر ميلادي فترة ازدهار لهاته المملكة، فأصبحت مملكة مستقلّة بذاتها، خاصّة في عهد الأسقيا: محمّد الكبير(**897-935هـ**) (**1493-1530م**)هذه الشّخصيّة المتميزة التي كان لها دورًا رياديًا، وبارزا في قيام مملكة سنغاي، وتطورها وازدهارها، فتمركزت دعوته على مقاومة بعض الأفكار والعقائد الباطلة، كما استطاع تسيّير شؤون البلاد في عديد النّواحي؛ سواء في الجانب السّياسي، أو الاقتصادي، وكذلك الثّقافي.

فقد شهدت مملكة سنغاي في عهده اتساعًا لا مثيل له، لهذا اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا دراسة عن شخصية الأسقيا: محمّد (**897-935هـ**) (**1493-1530م**) من خلال مصدرين مهمّين؛ ألا وهما: تاريخ السّودان، لمؤلفه: عبد الرّحمان السّعدي، وكتاب: تاريخ الفتّاش، لمؤلفه: محمود كعت.

تمحورت إشكالية بحثنا حول:أهم الاصلاحات التي جاء بها محمد توري للنهوض بمملكة سنغاي من خلال كتابي تاريخ الفتاش وتاريخ السودان وللاجابة على هذه الإشكالية كان يجب ان ننطلق من مجموعة من التساؤلات :

- ماهي صورة الأسقيا: محمّد توري من خلال المصدرين؟ - وبماذا تميزت فترة حكمه؟

- وفيم تتمثل أهمّ الإصلاحات التي جاء بها للنّهوض بمملكة "سنغاي"؟ وكلّ هذا باعتمادنا على ما أرّخ له كلٌّ من: محمود كعت، وعبد الرّحمان السّعدي في الكتابين السّابقي الذكر؟

ولقد اتّبعنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التّاريخي، القائم على التحليل الملائم لمثل هذه المواضيع.

ولدراسة الموضوع دراسة منهجية وموضوعية قسّمنا موضوعنا إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

– خصّصنا الفصل الأوّل منه، لدراسة المصدرَيْن اللّذين اعتمدنا عليهما في دراسة شخصية الأسقيا: محمّد، وأهمّ أعماله، وهما كتاب: تاريخ السّودان، لعبد الرّحمان السّعدي، وكتاب: تاريخ الفتاش، لمحمود كعت، فهذين المصدرين يعتبران من أهمّ المصادر السّودانيّة التي أَرَّخت للمملكة، فدرسناهما من خلال: أوّلا، التّعريف بالمؤلِفَيْن والمُؤَلَفين على حدّ سواء، إضافة إلى التّطرق لمحتوى الكتابين، والتّعرف على الجوانب المنهجيّة المتّبعة في كتابتهما، مع ذكر المصادر التّاريخيّة التي اعتمدا عليها، وفي الأخير حاولنا نقدهما بما توفّر لنا، وتقيّيمها كمصدرين لما ذكرا بالنسبة لموضوع بحثنا.

أمّا الفصل الثّاني، والذي جاء تحت عنوان: مملكة سنغاي في عهد الأسقيا: محمّد الكبير **(897–935هـ) (1493–1530م)**، فكان المبحث الأوّل فيه للحديث عن مملكة سنغاي؛ إذ تطرّقنا إلى التّسميّة، وتحديد الموقع الجغرافي، والحديث عن التّركيبة السّكانيّة لهذه المملكة، إضافة إلى قيام، وانتشار الإسلام فيها.

حتى نحيط موضوعنا بخلفيّة تاريخيّة نستطيع من خلالها توضيح الرّؤيّة أكثر في المبحث الثّاني الذي جاء بعنوان: التّعريف بالأسقيا: محمّد التّوري، فبعد التّعريف بهذه الشّخصيّة تحدثنا عن الانتماء العرقي له، وعرّجنا إلى سيرته الذّاتيّة التي لخّصت أهمّ أعماله، ومناقبه.

أما المبحث الثّالث: فكان عن الإصلاحات التي قام بها الأسقيا: محمّد في مملكة سنغاي؛ إذ تحدّثنا فيه عن ظروف تولّي الأسقيا: محمّد لحكم مملكة سنغاي، وعن جهوده في تنظيم المملكة في الجانب العسكري والإداري مرورا بالجانب الفكري والدّيني، دون أن ننسى الجانب الثّقافي، والعلمي في عهده.

أمّا الفصل الثّالث، فجاء تحت عنوان: رحلة الأسقيا إلى الحج، وأثرها على مملكة سنغاي.

فكان المبحث الأوّل عبارة عن وصفٍ لموكب الحجّ الذي صحب الأسقيا إلى البقاع المقدسة مع ذِكْر بعض المواقف والآثار الخالدة للأسقيا: محمّد بالإضافة إلى دراسة بعض الآثار السّياسيّة والحضاريّة لهذه الرّحلة، أمّا المبحث الثّاني، فتطرّقنا إلى أَثَرِ رحلة الحجّ في التّنظيم الجديد لمملكة سنغاي.

ذكرنا من خلالها الإصلاحات الجديدة التي قام بها الأسقيا بعد عودته من الحجّ متأثرا بما شاهده هناك، دون الإغفال عن شخصية مهمّة كان لها دورها البارز في حياة الأسقيا: محمّد، وهي شخصية "محمّد بن عبد الكريم المغيلي"، وعلاقته بالأسقيا، مع دراسة بسيطة لرسائل الأسقيا للمغيلي، وإجاباته.

وفي المبحث الأخير منه تحدّثنا عن نهاية الأسقيا: محمّد، وعزله من الحكم، وبما أنّنا أردنا أن يكون بحثنا ملمًّا أكثر، فقد قمنا بفتح المجال لنتطرّق إلى أوضاع سنغاي، ومَنْ آلت إليه بعد الأسقيا: محمّد، فتحدّثنا أوّلا عن خلفائه في الحكم، ثمّ على الغزو المغربي لمملكة سنغاي، وسقوطها.

وختمنا موضوعنا بجملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها، كما أرفقنا بحثنا بجملة من الملاحق المتمثلة في الخرائط وبعض الصُوَر.

اعتمدنا في دراستنا على جملة من المصادر، والمراجع، والبحوث، والدّراسات، ومن بين أهمّ المصادر التي كان لها دورا كبيرا في إثراء هذا البحث نذكر منها:

– كتاب: الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس، لمحمود كعت، وكتاب: تاريخ السّودان، لعبد الرّحمان السّعدي، وهما المصدران الأساسيان لدراستنا؛ إذ البحث من خلال ما كتبا عن شخصية وأعمال الشّخصية المتناولة في البحث بالدّراسة.

– كتاب: "نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج" لأحمد بابا التّنبكتي؛ إذ اعتمد عليه كلّ من مؤلفي المصدرين السّابقين.

– كتاب "أسئلة الأسقيا، وأجوبة المغيلي" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي، والعديد من المصادر الأخرى، بالإضافة إلى جملة من المراجع والرّسائل الجامعيّة، والمجلاّت، وبعض المقالات نذكر منها:

– كتاب: مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين(1492–1591م) لعبد القادر زبادية.

– كتاب: التّاريخ السّياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، للهادي المبروك الدّالي.

– كتاب: تاريخ إفريقيا الغربيّة، ليحي بوعزيز.

وقد اعترضتنا في بحثنا هذا مجموعة من الصّعوبات، وهي قلّة المصادر، وإن وجدت فالصعب الوصول إليها، وإن تمّ ذلك، فعن طريق الشبكة الإلكترونيّة على صيغة PDF، أو نسخة مصورة، وكذلك صعوبة التّعامل مع المصادر السّودانيّة، كمؤلّفَيْ عبد الرّحمان السّعدي، ومحمود كعت، وغيرها؛ لأنّها مصادر محليّة، غلبت عليها الدّارجة الغامضة في بعض الأحيان، وعدم وجود معاجم لترجمتها.

بالإضافة إلى الصعوبات التي تواجه أيّ طالب، أو باحث مبتدئ في أوّل طريقه كصعوبة التّحكم في الوقت، والمنهجيّة، وغيرها، لكن حاولنا قدر الإمكان التّغلب عليها، وهذا بمساعدة الأستاذة المشرفة التي ذلّلت لنا العديد من الصعوبات، ومنه لا يسعنا في الأخير إلاّ أن نشكرها جزيل الشّكر، وكلّ من أسهم في نصنا لإنجاز هذا البحث.

الفصل الأول

شخصيتا: عبد الرّحمان السّعدي والشيخ القاضي: بن محمود كعت، وكتابيهما.

الفصل الأوّل: شخصيتا: عبد الرّحمان السّعدي والشيخ القاضي بن محمود كعت وكتابيهما.

1- كتاب "تاريخ السّودان"

1-1 شخصية الشّيخ: عبد الرّحمن السّعدي: (1004-1066هـ، 1597-1657م):

1-2 التّعريف بكتاب، تاريخ السّودان:

1-3 محتوى كتاب "تاريخ السّودان":

1-4 أسلوب كتاب: السّعدي، وأهمّ المصادر المعتمدة فيه:

2- كتاب تاريخ الفتاش:

2-1 الشّيخ القاضي: "بن محمود كَعْت"(872-1001م/1469-1594م):

2-2 التّعريف بكتاب "تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس "للقاضي محمود كَعْتْ:

2-3 محتوى كتاب "تاريخ الفتّاش":

2-4 أسلوب كتاب: تاريخ الفتّاش، وأهمّ المصادر المعتمدة فيه:

3-نقد وتقيّيم المصدرين.

الفصل الأوّل: شخصيتا: عبد الرّحمان السّعدي والشّيخ القاضي بن محمود كعت وكتابيهما.

يعتبر كلّ من " كتاب السّودان " لعبد الرّحمان السّعدي، وكتاب" تاريخ الفتاش" لمحمود كعت مصدرين مهمّين ارتبطا ارتباطا وثيقا بالبيئة المحلّية لبلاد السّودان الغربي، وهذان المصدران بقدر ما شكّلا مادة علميّة دسمة لمثل هذا النّوع من الأعمال والأبحاث بقدر ماهي في حاجة إلى إعادة النّظر، وإلى النّقد على ضوء المناهج الحديثة؛ لذلك اخترنا دراسة هذين المصدرين موضوع هذا الفصل من حلال الوقوف على علامات معرفيّة ومنهجية لهذين المؤلّفين.

1- كتاب "تاريخ السّودان":

1-1- شخصية الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي (1004-1066هـ، 1597-1657م):

هو عبد الرّحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر بن الحاج المتوكل، ولد حسب قوله:" ليلة الأربعاء، ليلة عيد الفطر عند استهلال الشّهر والنّاس مازال بالزّغاريت والتّهاليل عليه والتّباشر به وُلِدَ جامع هذه الكراريس ...، وذلك في العام الرّابع بعد الألف[1]، والموافق لـ 17 جوان 1597م ، وتربّى في عائلة اشتهرت بالعلم والفقه، فدرس على والده الفقيه: عبد الله بن عمر الذي أخذ العلم عن شيخه القاضي التنبكتي محمود بن عمر بن محمّد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي التنبكتي، فأخذ عنه البيان المنطق [2].

كما حفظ الفقيه عبد الرّحمن السّعدي القرآن الكريم على يد الشّيخ أحمد بابا التّنبكتي، وغيرهم من العلماء والفقهاء، اشتغل السّعدي طوال حياته بالدّعوة والإرشاد في عدّة مناطق وجهات من السّودان الغربي، فاشتغل بتحرير العقود في مدينة "جنى"[3] إلى جانب وظيفته كإمّام في جامع

---

[1] السّعدي(عبد الرّحمان): تاريخ السودان، دراسة وتعليق ونحقيق: عبد النّعيم ضيقي، عثمان، دار: الرّشاد، القاهرة، ط 1، 2010، ص176.

[2] الزّركلي(خير الدّين): الأعلام قاموس التّراجم لأشهر الرّجال والنّساء العرب والمتعربين والمستشرفين، ط3 14، د م ط، د س ط، ج 7، ص 84- 207.

[3] أنظر، الملحق1، موقع مدينة "جني"، ص82 .

السّنكري بمدينة "جنى" عام (1036هـ، 1628م)، واستمرّ في ذلك قرابة عقدين من الزّمن، ثمّ استدعاه الباشا محمّد بن عثمان حاكم تنبكتو عام 1646م، وعيّنه ناظرا لخارجيته.

استمرّ في ذلك المنصب، حتّى توفيّ عام (1066هـ، 1657م) بمدينة "جاو"، فسمح له ذلك المنصب بالتّنقل بكثرة في أنحاء مملكة"سنغاي"؛ لمعالجة المشاكل والقضايا والاطّلاع على مجريات الأمور، فأفاده ذلك في تأليفه لكتابه الشّهير عن بلاد السّودان والذي أتمّه في 24 ذي القعدة عام (1062هـ- أكتوبر 1653م) [1].

1-2-التّعريف بكتاب "تاريخ السّودان": يعدّ كتاب "تاريخ السّودان" للشّيخ عبد الرّحمان السّعدي أحد المصادر الأساسيّة لتاريخ منطقة السّودان الغربي، اشتمل على 326 صفحة، ووقف على طبعه السّيد: هوداس وتلميذه بنوة، مطبعة بردين بباريس سنة 1881م، ثمّ ترجمه إلى الفرنسيّة سنة1900م .

وعن أسباب تأليفه لهذا الكتاب يقول: "وكما رأيتُ انقراض ذلك العلم، ودروسه، وذهاب ديناره وفلوسه، وأنّه كبير الفوائد كثير العوائد، كما فيه معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه وتواريخهم ووفَيَاتهم"[2]، كذلك نظرا لمشاركته في شؤون البلاد، وقيّامه بدور الوسيط مع أمراء السّودان المختلفين، فهذا ربّما جعله يفكر في كتابة تاريخ المنطقة؛ للرّبط بين الأحداث الجاريّة والماضيّة[3].

يحتوي هذا الكتاب على ثمانية وثلاثين بابًا.

---

[1] يحي بوغرير: تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة من مطلع القرن السّادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار: هومة للنّشر والطباعة، الجزائر 2001م، ص 270.

[2] السّعدي: مصدر سابق، ص 2.

[3] ك. مدهو يالبكار، الوثنيّة والإسلام تاريخ الإمبراطوريّة الزّنجيّة في غرب إفريقيا، ترجمة وتحقيق: أحمد فؤاد بليغ، ط 2، المجلس الأعلى للثّقافة، ب-م-ط 1998، ص550 .

وتمّت كتابته يوم 05 من ذي الحجّة 1063هـ/28نوفمبر1652م، ومنهم من يقول: بأنّه أتمّه في 27 أكتوبر 1653م، و حسب السّعدي " هُنا انتهتْ المجموعة بحمد الله وحُسْنِ عونه بتاريخ نهار الثّلاثاء لخمسة خلوْن من ذي الحجّة الحرام العام الثّالث والسّتين والألف ...[1]، وبعد سنتين تقريبا أضاف إليه فصلاً يتضمّن آخر ذكريات له، والذي أتمّه في 24 ذي القعدة عام (1062هـ- أكتوبر1653م)[2].

وبعد وفاته قام حفيده الأمير "محمّد سود" من تنبكتو (1164هـ/ 1752م) بإتمام كتابه الذي أرّخ فيه للولاّة والباشوات المغاربة الذين حكموا مملكتي "تنبكتو"، و"سنغاي"، وعلى الأرجح أنّه سمّى كتابه هذا "تذكرة النّسيان لأخبار ملوك السّودان"، وطبع في باريس سنة 1899م، لكنّ الأسماء الواردة في النّسخة المطبوعة مرتبّة فيها إلى الحروف الأبجديّة خِلاف المألوف؛ أي النّسخة الأصليّة[3] .

1-3-محتوى كتاب «تاريخ السّودان":

من خلال قراءة الكتاب يظهر أن "السعدي" كتب سيرا على منوال سابقيه، وبالطريقة المألوفة خاصة عند الذين تأثر بهم وأخذ عنهم كما الحال عند أستاذه أحمد بابا التّنبوكتي بحيث يقول: "وقد رأيت في كتاب الذّيل[4] ، فجاءت تجربة السّعدي عبارة عن سرد خبري تاريخي بنصوص وردت في مؤلفه عبارة عن حوليات، بحيث يذكر السّنة، ويأتي على مجموع أحداثها وأخبارها فيقول مثلا "في يوم الخميس الثّامن من الرّبيع الثّاني في العام الثّامن والأربعين والألف توفي

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 314.

[2] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة من مطلع القرن السّادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ص 207 .

[3] الكتاني(عبد الحي بن الكبير): فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتبار: إحسان عباس، دار: الغرب الاسلامي ط2، ب.م.ط 1402هـ-1982م، ج1، ص 338.

[4] السّعدي، نفسه، ص 2.

الشّيخ الفقيه العالم الفاضل ... وفي أوائل شعبان توفي أخونا سليمان ...في ليلة الخميس العاشر من رمضان توفي أخونا ومحبّنا النّافع ..." [1] .

كتاب السّعدي الذي ينتمي إلى طريقة كتابة تاريخيّة معتادة، مدخله كان عبارة عن صدّ لأهمية التّاريخ، ثمّ فصول وأبواب توزّعت على سير وتراجم، غزوات، مدن، فكر ... ومدخل هذا الكتاب فيه إدراجا لأهمّ علامات المحتوى، أو التّصميم الذي اختاره المؤلف في البداية، بحيث أورد في ختام المقدمة "ذِكر ملوك السّودان أهل سنغي، وقصصهم، وأخبارهم وسيّرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها، ومن ملكها من الملوك، وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطؤوا فيها وغير ذلك ... وبالله تعالى وأستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل [2].

وبناء على هذا الاختيار والرّؤية فقد قسّم مؤلّفه إلى أبواب. بلغ عددها(38) بابا، تباينت من حيث قضاياها، وهذه الأخيرة (القضايا) هي التي أعاد ذكرها عند الانتهاء من كتابة مؤلّفه في مرحلته الأولى (في جزئه الأوّل، فنجده يقول في بداية الباب (37):" وهنا انتهى القول بنا فيما أردنا من جمع ما تيّسر– من أخبار ملوك أهل سنغي، وتبدة عن ذكر أهل مالي وملوك جنى ونشأتها ونشأة تنبكت ومن ملكها ودولة الأحمديّة الهاشميّة المنصوريّة الملوكيّة فيها وبعض العلماء والصالحين فيها وأبائهم وقصصهم وسيّرهم وغزواتهم وأيّامهم وتواريخهم ووفياتهم ....[3].

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 64.

[2] السّعدي: نفس المصدر، ص 296.

[3] السّعدي: نفس المصدر، ص 2.

وإن كان مؤلف تاريخ السودان يمثل عمق الثقافة العربية الإسلامية وأن نكهته رسمية في إطار حوليات بلاطات [1]، فإنّ هذه الحوليات امتدّت أحيانا على مساحة زمنيّة كبيرة، وهذا تميّز عند "السّعدي" فنجده يقول:" ذكر الوفيات والتّواريخ من العام الثّاني والأربعين والألف إلى الآخر العام الثّالث والسّتين والألف [2] .

ومن مجموع 38 في المؤلّف خصّص بابا واحدا (الباب 30) للحديث عن تاريخ المملكة السّعديّة، وبابا آخر خصّصه للتّعريف بالطوارق (الباب 8)، وهناك بابين آخرين بطابع وصفي الأوّل (الباب 3) خصّصه للحديث عن استيلاء "كنكن موسى" (منسى موسى) على مملكة السّنغي، و الباب الثّاني(باب 32) حول زيارات المؤلف لبلاد "ماسنة"، وقد عنونه هكذا" سياحة مؤلف الكتاب" إلى بلاد ماسنة، وربّما درجة تأثر المؤلف بأستاذه "أحمد التّنبوكتي" هي التي جعلته يخصّص له بابا واحدا ووحيدا تضمّن نبذة حول كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج الذي أورده السّعدي هكذا" كتاب الذّيل لأحمد بابا" بابا واحد كذلك هو الذي خصّصه "التّاريخ السّودان"، وهو الأخير، وعليه ملاحظات أورده هكذا "تاريخ السّودان" من 1063 بداية إلى 1065، بداية من الباب مخالفة لِما أورده المؤلف في باقي الأبواب، وكان هذا الباب (38بمثابة مدخل جديد كجزء ثان من الكتاب، لكنّ الموت كان أقوى من إرادة السّعدي" وهو يقول في هذا الشّأن: "الحمد الله وحده ممّا حدث بعد ما مضى من التّاريخ"[3].

ومن جملة 38 بابا من أبواب كتاب: تاريخ السّودان هناك 32 بابا ابتدأت بذكر ....، وستّة أبواب فقط هي التي تباينت عناوينها بين التّرجمة للرّحلات، التّعريف مع الإشارة إلى أنّ

---

[1] الشكراوي، خالد، فاس من خلال المصادر السّودانيّة، قراءة أوليّة، منشورات: معهد الدّراسات الإفريقيّة الرّباط، وكليّة الآداب سياسي فاس وإفريقيا، ط01، 1996، ص 28.

[2] السّعدي: مصدر سابق، ص 294.

[3] السعدي: نفس المصدر، ص 315.

معظم صفحات هذا المؤلف تتكون من 19 سطرا مع استثناءات محدودة، وداخل كلّ سطر من السّطور لا يتجاوز عدد الكلمات 12 كلمة.

1-4- أسلوب كتاب السّعدي وأهمّ المصادر المعتمدة فيه:

المصادر التي اعتمد عليها السّعدي في كتابه لم يخصّص لها جانبا، كما حصل عند التّنبوكتي مثلا في نيل الابتهاج في تطوير الدّيباج؛ بل وردت في سياقات الكتابة عند وقوفه عليها للاستشهاد [1] .

ويأتي أحمد بابا التّنبوكتي (الأستاذ) (1556-1627) في مقدمته مصادر المؤلف، وإذا كان "لفي بورفسيونال" قد اعتبر هذا الكتاب ضمن أهمّ المصادر المغربيّة المتعلّقة بالتّراجم، فأورد "إنّ أحمد بابا التّنبوكتي جدير أن يسجل اسمه ضمن المؤرخين غير المباشرين للمغرب أواخر القرن السّادس عشر-الميلادي[2].

وسواء أحمد بابا الفقيه المؤرخ والشّخص، أو مؤلفه نيل الابتهاج، فكليهما من العناصر التي أثّرت في كتابة كتاب السّعدي، بحكم هذا الأخير تتلمذ على يد الأوّل (الشيخ، والمريد....)[3]، ويظهر اعتماد السّعدي على ما كتبه أحمد بابا التّنبوكتي، وعلى مؤلّفه السّابق من خلال هذه المقتطفات من كتاب: تاريخ السّودان" قال العلامة الفقيه أحمد بابا -رحمه الله-: "خرجَت تنبكت ثلاث مرّات على يد سني علي، والثّانيّة على يد الباشا محمّد زرقون..."[4] .

---

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص 315

[2] لفي، بروفنسال: مؤرخ الشرفاء، تعريب: عبد القادر الفلادي، مطبوعات دار: المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، سلسلة التّاريخ 5، الرّباط 1977، ص 179.

[3] التّوفيق، أحمد: العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربيّة، منشورات: عكاظ، جمعية موظفي كلية الآداب، الرّباط، الدّار البيضاء، 1996، ص28.

[4] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 9.

وفي نصّ آخر أورده "السّعدي" جاء فيه: "وكذا وجدْتُه مضبوطا في ذيل الدّيباج للعلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله"[1]، وهذا ما يؤكد تأثر السّعدي واعتماده على مؤلف أحمد بابا، حيث خصّص له بابا من أبوابه (الباب العاشر).

ومن بين المصادر أيضا هناك ابن بطوطة (1303-1377م)، وهذا الأخير كان قد قام برحلة سنة 1353م إلى منطقة مالي، فمكث فيها مدّة من الزّمن سجّل كلّ ما صادفه، وهو في بلاد السّودان الغربي في زمن السّلطان منسى موسى[2] ، ويقول "السّعدي" فيما يثبت اعتماده على ابن بطوط: أبو عبد الله محمّد ابن بطوطة في رحلته -رحمه الله-: "كان السّلطان منسى موسى، ولمّا حجّ نزل بروض لسراج الدّين بن الكوبك أحد كبار التّجار...

اعتمد السّعدي أيضا على كتاب "الحِلّل الموشيّة" في ذكر الأخبار المراكشيّة مستحضرا هذا المصدر التّاريخي المغربي في حديثه عن التّوارق في عرض نسبهم، وكان ذلك في الباب الثّامن، ضمن مصادر المادة المعرفيّة في كتاب "تاريخ السّودان"، كما اعتمد "السّعدي" على الرّواية الشّفويّة والمعاينة، والمشاهدة، فظهر ذلك من خلال هذا المقتطف، "وهي كائنة إلى الآن بالمشاهدة والمعاينة" .

ولمّا أسلم (يقصد السّلطان كنبر) خرّب دار السّلطنة، وحوّلها مسجدا لله تعالى هو الجامع، وأنشأ الأخرى لسكناهم، وهي في مجاورة الجامع من جهة والمشرق...." [3] ، وفي مقتطف آخر يقول" في أواسط ذي القعدة الحرام من العام (يقصد 1038م)، سافرت إلى السّيد الأخ المحبّ

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 35.

[2] السّعدي: نفس المصدر، ص 64.

[3] ا السّعدي: نفس المصدر، ص13 .

الفاضل الفقيه محمّد سنت قاضي ماسنة لزيارته تطّلبها منّي منذ أعوام لم يقدرها الله سبحانه، إلاّ في هذا الوقت، وهو أول رؤيتي بتلك الجهة[1] .

ومن خلال ما اعتمد من معاينة، ومشاهدة في صِلاته، ولقاءاته، والمهام التي تكلّف الحمادي التازي الذي قال: "وتتحدث رواية أخبار السّودان للسّعدي [2] ، وهذا البعد الخبري الذي تأثّر به من خلال مصادره ظهر بشكل كرونولوجي بحيث يُحضر اليوم والشهر والسنة، وفي هذا الإطار يقول مثلا:" وليلة الأحد العاشر من ذي الحجّة الحرام المكمل العام 1055 توفي أخونا الأمين كعت ، وفي يوم السّبت خامس من ذي الحجّة الحرام المكمل للعام 1056م توفي سيد الوقت وبركته الشّيخ المحب سيدي الشّريف، محمّد بن الشّريف الحسيني [3].

[1] السّعدي: نفس المصدر، ص 23.

[2] التّازي عبد الهادي، الوسيط في التّاريخ الدّولي للمغرب، المجلّد الثالث، مطبعة: المعارف الجديدة، الرّباط، طبعة أولى، 2001م، ص 98.

[3] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 276.

2- كتاب تاريخ الفتاش

2-1- الشّيخ القاضي "بن محمود كَعْت": (872-1001هـ/1469-1594م): هو القاضي محمود كَعْتْ بن الحاج المتوكل كعْتْ[1]، ولد عام 872هـ-1469م حسب رواية الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي [2]، بمنطقة "غورما" غرب "جاو"، وراء النّهر[3]، نشأ به)ا، وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشّيخ القاضي "محمود"، وعنه تعلّم علم اللّغة العربيّة والفقه والحديث والتّاريخ، وسِيَر العلماء، والفقهاء، كان أديب "سونكي"، وفقيها من علماء تنبكتو[4] ، وصديقا شخصيًّا للحاج محمّد سلطان مملكة سنغاي الذي صحبه، وكانت كلمته مسموعة لديه، ولدى خلفائه [5].

أُخذ لإمام الأزهر، ووسّع ثقافته ومعارفه أكثر، وفي الحجارة تعرّف على عدد من علمائها، وأخذ عن البعض منهم، ثمّ عاد إلى تنبكتو، فتفرّغ للتّعليم والتّدريس والإقراء لعلوم الفقه والحديث والمنطق، و التّاريخ، والسِيَر، فتمكّن عليه الكثيرون منهم: الشّيخ "أحمد بابا التّنبكتي" الذي قال عنه: "لقد كان شيخ زمانه في العلوم والفنون، لا نظير له"[6] .

كان حذِقًا في التّعليم؛ إذ كان يدرس من صلاة الصبح إلى الضحى، ثمّ ينصرف لقضاء حوائجه إلى وقت الزّوال، ثمّ يصلي الظهر بالنّاس، ويُدَرِس إلى العصر، وإذا صلّى المغرب درّس في المسجد إلى العشاء، ثمّ رجع إلى بيته، وكان مع ذلك محقّقًا، داركا، ذكيًّا فطِنًا...[7]، شغل

---

[1] التّنبكتي(أحمد بابا): نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم: عبد الحميد، ص 17.

[2] محمود كعت، عبد الله، ط دار: الكتاب، طرابلس (969-1306-1556-1627م)، ص9.

[3] يحي بوعزيز: ناريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة، ص 197.

[4] محمّد كينان ميغ: مظاهر الثقافة الإسلاميّة العربيّة في تنبكتو وغاو وحتى في عهد الأساقي، مجلّة قراءات إفريقيّة، 12 جانفي 2012م، ص 7.

[5] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 197-198.

[6] ك. مادهو بانيكار: الوثنيّة والإسلام وتاريخ الإمبراطوريّة الزّنجيّة في غرب إفريقيا، ص 141.

[7] نفسه.

منصب القضاء، ونظرا لشهرته بالفقه وسعة علمه، فقد سُمِّي بالألفا (ألفع)، وهي كلمة استخدمها أهل تنبكتو اختصارا لكلمة فقيه.

وكذلك كان يسمّى أحيانا "سيدي محمود كعت"، أو القاضي "محمود كعت"[1]، وأخذ بتاريخ وفاته برواية السّعدي في تاريخ السّودان يقول: "وفي ليلة الإثنين أوّل ليلة من المحرّم الحرام الفاتح للعام الثّاني بعد الألف قُرْب طلوع الفجر توفيّ العلاّمة الفقيه القاضي محمود كعت بن المتوكل على الله في أركيا، وحُمِل إلى تنبكتو، وصُلّى عليه صلاة العشاء الآخرة من ليلة الثّلاثاء، ودُفِن بمجاورة قبر الفقيه "أحمد بن الحاج أحمد"[2]، توفيّ بعد تأليفه لكتاب تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان و الجيوش وأكابر النّاس وذرك وقائع التّكرور خلال القرن السّادس عشر ميلاد"، وهو في الخمسين من عمره، وقد عايش أحداث الغزو المراكشي بالمملكة لمدّة سنتين[3] .

2-2- التّعريف بكتاب "تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس "للقاضي محمود كَعْتْ: ألّف القاضي محمود كعت كتابه خلال القرن 16م، ابتدأ كتابة مِؤلَّفه، وهو في الخمسين من عمره، وقف على طبعه وتحقيقه ونشره وترجمته إلى الفرنسية: المستشرقان الفرنسيان، "دوفلاس"، وصهره "هوداس"، وتمّ العمل تحت إشراف معهد اللّغات الشّرقيّة الحيّة بباريس عام 1913م.

وأعادت منظمة اليونيسكو نشر النّص العربي مع ترجمته الفرنسيّة في مجلّة واحدة عام 1964م، على الرّغم من أنّ محمود كعت عمّر طويلا، لكنّه لم يكتسب كلّ الأحداث التي وردت في الكتاب، فهذه الأحداث تنتهي عند(1008هـ-1601م)؛ أي بعد وفاته بستٍّ (6) سنوات،

---

[1] مادهو، بانيكار: نفس المرجع، ص 548.

[2] السّعدي: مصدر سابق، ص 211.

[3] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 198.

وعنوان الكتاب كما هو معروف " تاريخ الفتّاش" في أخبار البلدان والجيوش، وأكابر النّاس[1] على العلم أنّ أهل تنبكتو لا ينطقون حرْف "الشّين" صحيحًا، وإنّما ينطقونها "سينًا"، وعليه فإنّ عنوان الكتاب يمكن أن يكون "تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس"، وقام بتكملة هذا الكتاب بعد وفاته حفيده[2] .

استعان هذا الحفيد ببيع الأوراق والمذكرات التي تركها جدّه محمود كعت، والقاضي محمّد الأمين، ويوسف كعت، وبذلك يكون هذا الكتاب ثمرة تعاون بين الجدّ وحفيده، وثمرة جهد الأبناء.

كما حَرَص حفيدُه كعت أن ينسبَ هذا الكتاب إلى جدّه بأكمله[3] .

2-3 محتوى كتاب" تاريخ الفتّاش":

بدأ القاضي كتابه بالبسملة، ثمّ فال في مقدمته:» الحمد لله المنفرد بالمُلْك والملكوت والعزّة والجبروت"[4]، كما ذكر فيه كعت قصّص السّلاطين والملوك بداية الأسقي: محمّد الكبير الذي مجّده، ووصفه بالعدل والصلاح، في حين ذهب في صفّ سنّي علي بالجبار والخارج عن الدّين، كما ذكر ملِك مالي، السّلطان "منسيا موسى"، وكان ملكي سلطانًا تقيًّا عابدا مَلَكَ من "تنهى مل"...وأطاعه جميع من فيها من "سنغى"، وغيرها، ومن علامة صلاحه أن كان يعتق كلّ يوم نفسًا، وحجّ إلى بيت الله الحرّام، وبنى في حجّته مسجدًا "جامع تنبكتو"[5].

---

[1] ك.مادهو بانيكار: مرجع سابق، ص 549.

[2] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة، ص 199.

[3] ك. مادهو بانيكار: مرجع سابق، ص 549.

[4] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص 9.

[5] كعت: مصدر سابق، ص16.

لكنّ احتلال المغاربة للمدينة، والنّكبات التي حلّت بسنغاي ترجع إلى فساد أخلاق السّكان، واستعمار المتأخرين من ملوك الأساقي، فيصف لنا كعت كآبة المنطقة عند دخول الغزو المغربي، قائلا:"فلمّا اجتمع النّاس غُلقت أبواب المسجد، وقف الرُّماة على الأبواب والسّطوح ...وما كان ممّا لا ينبغي ذكره، ولا يحتمل القلب جلْب ما كان هنالك كما يصف أيضا حالة المنطقة عندما ارتحل أهلها وعلماؤها من المنطقة بقوله: "ولمّا أجلاهم القول، وارتحلوا وصارت تنبكتو جسمًا بلا روح، وانعكس أمورها، وتغيّر حالها، وتبدّل عوائدها، ورجع أسفَلها أعلاها أسفلها، وساد أراد لها على عظمائها"[1].

2-4 أسلوب كتاب "تاريخ الفتّاش"، وأهمّ المصادر المعتمدة فيه: اعتمد كعت على الأسلوب الخبري، حيث سرَد لنا الأحداث والوقائع التي جرت بالمملكة على عهده، ومن خلال دراستنا لمُؤَلَفِه رأينا أنّه كان يصف الحياة الاجتماعية أكثر من وصفه للحياة السّياسيّة والاقتصاديّة، وأطال في الحديث عن "الحاج الأسقيا الكبير"؛ ربّما لأنّه كان صديقًا له، ومستشاره.(وأطال في الحديث عن الحاج الأسقيا محمّد، وهذا ربّما لأنّه كان الصديق المقرب إليه ومستشاره، بحيث إنّ الأبواب الأولى من كتابه تتناول سيرة الأسقيا: الحاج محمّد، وقال عنه كعت:"إنّ الأسقيا: محمّد يصلح حتّى لحكم دولة بني العباس، وكلّ دولة أخرى غيرها[2] .

وهذه النّسخة من كتاب تاريخ الفتّاش لا يوجد فيها فهرس، يُسَهِل على الباحث الاطّلاع، مقارنة بكتاب تاريخ السّودان الغربي (مملكة سنغاي)، ولم يكن كتابه مقسّمًا إلىّ أقسام، وأجزاء مثل تقسيم كتاب السّعدي الذي ذكرنا أنّه يحتوي على 38 بابًا، وعموما، فإنّ ألفاظه سهلة

[1] محمود كعت: نفس المصدر، ص 153 .

[2] .كعت : نفس المصدر، ص 22 .

وبسيطة، غير أنّه يشوبها بعض الغموض؛ إذ أنّ كتابه لم يخل كانت ألفاظه سهلة وبسيطة، غير أنّه يشوبها بعض الغموض.

كتابه لم يخل من تعريب المفردات المحليّة مثل قوله: "وليس في إقليم التّكرور من ملّل إلى لعلع من يرفع يده"؛ أي عندما تولّى أسقيا داوود السّلطنة لم يوجد من يقارعه، ويطيق مخالفته، فعبّر عن القدرة على المنافسة والتّحدي برفع اليد [1]؛ لذلك فكتاب تاريخ الفتّاش يبقى المصدر الأوّل والأسّاسي الذي جمع تاريخ "سنغاي" خلال القرنين 16م، 17م[2] .

اعتمد محمود كعت في تأليفه على الرّواية الشّفويّة والمشاهدة العينيّة، كما كانت له مصادرا أخرى اعتمد عليها أهمّها: كتاب دور الحسان في أخبار بعض ملوك السّودان"[3] لمؤلِفِه "بابا كورا بن الحاج، محمّد بن الحاج الأمين" الذي يقول عنه كعت: "إنّه من مهاجري كانو، وقال عن مُؤَلِفِه:" إنّه مَعِينٌ لا ينضب من المعلومات التّاريخيّة[4].

3- نقد وتقيّيم المصدرين:

يعدّ كتاب (تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس) لمؤلِفِه القاضي محمود كعت، وكتاب (تاريخ السّودان) للشّيخ: عبد الرّحمن بن عبد الله بن عمران السّعدي المتوفى سنة

---

[1]. كعت : نفس المصدر، ص93.

[2] نفسه.

[3]الباز (السّيد أحمد): الحياة العلميّة والثّقافيّة في بلاد السّودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي (638-999م/1240-1591م)، رسالة ماجيستر، معهد الدّراسات الجامعيّة، القاهرة 1994م، ص 134.

[4]الشّيخي (حسن، علي إبراهيم): تأثير الإسلام وثقافته في السّودان الغربي منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السّادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، جامعة: أمّ درمان، السّودان 2008م، ص 83 .

1066هـ/75م اللّذين تناولا مملكة سنغاي في السّودان الغربي بشكل مُرَكَّز متحدثين عن نشأتها، ومن ثمّ تأريخها في عهد "الأسقيا: الحاج محمّد"، ومن تبعه من الحكام، وتأتي أهميّة هذين الكتابين في أنّ مُؤَلَفَيْهما من أبناء المنطقة، وعاصرا كثيرا من أحداثهما، إلاّ أنّ ما يؤخذ عليهما التّركيز على شخصية الأسقيا: الحاج محمّد (898-934هـ/1494-1529م)، التي احتلّت مكانة بارزة في المصنفين إلى درجة يمكن اعتبار تاريخ الفتّاش وتاريخ السّودان، مُؤَلَفَيْن في ترجمة ذلك الحاكم فقط.

كما يُؤْخذ عليهما أنّهما جاء متأخرين عن المدّة الزّمنيّة للبحث، وكثيرا ما طغت عليهما الرّوايات لطول تداولهما، ولهذا توجَّب على الباحث التّعامل معهما بحذر؛ لهذا فالقراءة المتأنيّة لتاريخ الفتّاش على الاقتناع بأنّ العديد من الرّوايات يطرحها ليست لصاحب التّأليف الأصلي، ومن المرجح أنّه ليس للمحقّقين يدًا في ذلك؛ لأنّهما اعتمدا على ما توَفَر لديهما من النُّسَخ المخطوطة، ويمكن رصد عددٍ من المؤشرات التي تثير الشّك، ومنها عدم ترابط فقرات الكتاب في الكثير من فقراته، والتّكلّف الفاضح لعددٍ من الجمل، وانعدام وحدة الأسلوب.

وعلى الرّغم من مجهودات المستعربين في تحقيق المُصَنَفَيْن السّودانييْن، واجتهادهم في فك الكثير من الألغاز التي تكتشفهما بقي عملهم محدودًا بسبب استعمال المصدرين للكثير من المصطلحات السّودانيّة والكلمات الدّارجة التي يصعب فهمها، وترتّب على ذلك بقاء مجموعة عن أسماء الأعلام والقبائل والألقاب والمواقع الجغرافيّة غامضة لدينا، ورغم ذلك يظلّ الاعتماد على هذين المصدرين أمرًا ضروريا لاعتبارات عدّة أهمّها، أنّهما يقربونّنا من وجهة نظر السّودانيّين أنفسهم في ماضيهم وكيفية تصورهم لتأريخهم الشّيء الذي يساعد فعلى مقاربة الذّهنية السّودانيّة بأقلّ السّقطات، ونجد الأسطورة تشغل حيزا هامًّا في المصنفين السّودانيّين؛ إذ كثيرا ما تطرأ الأحداث التّاريخيّة البارزة ضمنهما.

من خلال ما تطرّقنا إليه نستطيع القول أنّ كلاّ من المصدرين هو إنتاج محلّي وفق رؤية سودانيّة للتّحولات والأحداث، وعليه فهو قيمة علمية مضافة، وهامة بالنّسبة لتاريخ السّودان خلال العصر الحديث.

الفصل الثاني

الاسقيا محمد توري من خلالل المصدرين

(898-935ه/1493-1538م)

الفصل الثّاني: مملكة سنغاي في ظلّ حكم الأسقيا: محمّد التّوري (898-935هـ/1493-1538م)

1- التّعريف بمملكة سنغاي:

1-1-أصل التّسمية والموقع الجغرافي.

1-2-التّركيبة السّكانيّة.

1-3-قيام مملكة سنغاي وانتشار الإسلام فيها.

2-التّعريف بشخصيّة الأسقيا:

2-1 تعريف الأسقيا: محمّد التّوري.

2-2 الإنتماء العرقي للأسقيا.

2-3 سيرته الذّاتيّة (أعماله ومناقبه).

3-إصلاحات الأسقيا: محمّد توري في مملكة سنغاي.

3-1-ظروف تولّي الأسقيا للحكم.

3-2-جهوده في تنظيم مملكته.

أ) الجانب العسكري والإداري.

ب) الفكري والدّيني.

3-3-الحياة الثّقافيّة والعلميّة في عهد الأسقيا.

الفصل الثّاني: مملكة سنغاي في ظلّ حكم الأسقيا: محمّد التّوري (898-935هـ/1493-1538م).

تعتبر مملكة سنغاي أهمّ الممالك الإسلاميّة التي عرفت غرب إفريقيا، خاصّة عندما تولّى الأساقي مقاليد الحكم، وعلى رأسهم الأسقيا: محمّد التّوري الذي أحدث تغيرات جذريّة لهذه الدّولة، وهذا ما سندرسه في هذا الفصل.

1-1-أصل التّسميّة والموقع الجغرافي:

أ-أصل التّسميّة:

وردت كلمة سنغاي في المصادر والمراجع بعدّة ألفاظ، فذكرها كلّ من السّعدي وكعت: "سنغي"[1] ، ووردت في المراجع بالأسماء التّاليّة : صنغاي ،سونغهاي ، الصنغي كما جاءت في المراجع الأجنبية [2]، بلفظة "songhai3 " ، كما وردت العديد من الرّوايات والأساطير حول أصل سنغاي ، منها ما ورد عن صاحب " تاريخ الفتاش" مفادها أنّ جدّ سنغاي وجد ونكر كانا أخوين شقيقين أنّ أباهما كان ملكا من ملوك اليمن كان اسمه تراس بن هارون، وعندما مات الأب خلفه على الملك أخوه يسرف بن هارون، فضيّق الخناق على أبناء أخيه أشدّ تضيق[4]

ثمّ هاجروا من اليمن إلى ساحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي)التّكرور، ومعهم زوجاتهم وجدوا هناك عفريتا من الجنّ، فسألوه عن اسمه، فقال :"ساز"، وقال له: "ما جاء بك إلى هذا المكان ؟"، فقال: "لا أعلم"، فقالوا : يحق لهذا المكان أن يقال له: "تكرور" إلى أن أورد اسم كبير الرّجال المذكورين، ويدعى:" وعكري ذا بن براس "، وزوجته"أمنة بنت يخت"، وهو جدّ قبيلة

---

[1] عبد الرّحمان السّ عدي : مصدر سابق ، ص2؛ محمود كعت : مصدر سابق ،ص24 ،25 .

[2] جعفري عباس حمدي : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،ط1، دار الفكر للطباعة والنّشر ، الأردن ،2001م، ص49.

[3] Lugien Marg :le pays mossl , éditeur _ émile larose libraire ,paris, 1909, P9

[4] محمود كعت : مصدر سابق، ص24-25.

وعكري ، والرّجل الثّاني "سغى بن براس"، وزوجته "سارة بنت وهب"، وهو جدّ قبيلة سغى، والثّالث اسمه "ونكر"، وهو أصغرهم، وليس له زوجة، ولمن له "أمتان" إحداهما تدعى" سكرى ونكر"، وهي سرية له، وكان جدّ قبيلة، ونكر عبدا يدعى (بمنيك)، فزوجّه كسرى، وهو من قبيلة بمنيك والى أبائهم نسبوا ، ثمّ تفرّقوا في الأرض، وكان كبيرهم وعكري سلطانهم، وسمّوه "كميغ" في كلامهم "مال الإرث"، وأنّ "سغى بن تراس" كان أبوهم ملكا من ملوك اليمن، واسمه "تراس بن هارون"[1] .

أمّا عن أصلهم، فهناك روايات عديدة في سبب نسب مخطوط "زهور البساتين"أنّ أصل سنغاي من اليمن، ومن هذه الرّوايات أنّ أصل سنغاي من اليمن، وأبوهم ملك من ملوك اليمن، ربّما يقصد بذلك ملوك الحبشة؛ لأنّ سودان الحبشة كانوا ملوك اليمن في ذلك الوقت ، كما أورد صاحب المخطوط أنّ أباهم ملك من ملوك اليمن اسمه دليل على دقّة المعلومات، وأنّ هؤلاء كانوا في اليمن أيضا من أرفع الطبقات الإجتماعيّة، وهذا يضفي عليهم الشّرعيّة أكثر[2] كما كان عند هذه القبائل نظام وراثة في الحكم بدليل تولّي "برن هارون " شقيق ترانا مر البلاد من بعده ، أيضا الصراع بين الأسرة الحاكمة يؤكد نزوحهم من اليمن إلى الشّمال الإفريقي ومنه إلى غرب إفريقيا ووجود بعض الأسماء العربيّة كامنة ، سارة بنت وهب [3] .

كما توجد رواية أخرى ترى أنّ معظم شعب سنغاي أصله من دندي[4] شمال الداهومي، ثمّ سار مع مجرى نهر النّيجر حتّى وصل إلى منطقة كوكيا[5] ذات الخيرات الوافرة، فاستقرّ بها

---

1. محمود كعت : نفس المصدر، ص24-25.

2. الذّالي(الهادي المبروك) : التّاريخ السّياسي والإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 18،ط، دار: النّشر المصريّة اللّبنانيّة ، مصر ، 1999، ص 162.

3. الدّالي : نفس المرجع، ص92.

4. دندي : ولاية تقع في الجنوب الغربي من جاو ، كان حاكمها زمن الأسكيا: داوود موسى سفنار، وعند موته ألت ممتلكاته إلى السّلطان الأسقيا: داوود . أنظر، الدّالي: نفس المرجع، ص 116.

5. كوكيا : هي العاصمة الأولى لمملكة سنغاي، ويقال: "أنّها تقع في المنطقة الشّماليّة الغربيّة من حدود نيجيريا الحاليّة" . أنظر حسن إبراهيم حسن : إنتشار الإسلام في القارة الإفريقيّة ، ط، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة ،1963م، ص109.

وخضع لإمرة "زا" التي كان ملكا على تلك المنطقة، وأصبح يسير وراءه في حروبه، لكنّه طمع بعد ذلك إلى الملك، فقلب له ظهر المجن، وخضعت له الشّعوب مثل العرب المغاربة [1] ، وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ سكان غرب إفريقيا مزيج من الشّعوب الثّلاثة: الأقزام الزّنوج والحاميّين مع ملاحظة أنّ الشّعوب غرب إفريقيا اختلطت منذ زمن بعيد بشعوب ضياء من بينها العرب المغاربة [2].

أمّا رواية" الحسن الوزان " فيقول: أنّ سنغاي هي قبيلة كانت تسكن النّيجر حول حدود الغابات الإستوائيّة، ثمّ اطلعت إلى الشّمال، وأسّست حوالي القرن الأوّل هجري دولة، وهم أناس في غاية السّواد والخسّة [3].

ومن الرّوايات الأقرب إلى الصواب ما جاء عن صاحب مخطوط "فتح الحنان المنان " عن أصل مملكة سنغاي، حيث يقول: أنّهم ينتسبون إلى قبيلة سنغاي كانت تقطن على ضفاف نهر النّيجر الأوسط في الفترة مابين القرن السّابع والقرن التّاسع الميلادي، حيث غزت قبيلة ضياء[4])، ويؤكد صاحب المخطوط قائلا: "وإذا ألقينا نظرة عامة على المجموعات التي تتألف منها

---

1. الدّالي : مرجع سابق ، ص92.

1. نعيم قداح : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربيّة ، ط2، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ، الجزائر، ب ت ط ، ص109.

2. ليون الإفريقي(حسن بن محمّد الوزان الفاسي) : وصف إفريقيا ، ترجمة: محمّد حجي، ومحمّد الأخضر، ط ، دار: الغرب الإسلامي ، بيروت ،ج2، ص162.

3. ضياء: هي إحدى القبائل العربيّة، يقال: "أنّها قدمت من طرابلس الغرب، وحكمت سنغاي حتّى عام 1335م، وتدعى هذه العائلة (ضياء) بلسان سنغاي (ايون). أنظر، عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين (1493.1593)، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع ، الجزائر ، ط ، ص 25 .

المنطقة في القرن الأول الهجري لوجدنا مجموعات التّكولور، السّيرو، والولوف الذين يقطنون على ضفاف السّنغال في حوضه الأدنى، ويمتهنون صيد الأسماك والزّراعة[1].

ب-الإطار الجغرافي لمملكة سنغاي:

بلغت إمبراطورية غانا وإمبراطورية مالي شأنا عظيما، واستطاعتا السّيطرة على بطاح واسعة من مناطق غرب أفريقيا (مناطق غرب السّودان وجنوب الصحراء الكبرى)، ولكن أيا من هاتين الإمبراطوريتين لم تبلغ ما بلغته إمبراطوريّة سنغاي من القوة والسّيطرة خلال القرنين الخامس والسّادس ميلادي[2].

تقع بلاد "سنغاي" في غرب السّاحل الإفريقي بالإقليم الشّمالي الدّاهومي وعاصمتها كانت تدعى "جاو"، بلغت مملكة سنغاي أوج ازدهارها، وضمن أراضي جديدة في الشّمال وعلى سواحل المحيط الأطلسي فاتّسعت المملكة لتمتدّ من مناطق قبائل الفولاتي، وحوض السّنغال في الغرب إلى مناطق أغادس وسط النيجر بين شمالي بنين وغرب نيجيريا وحدود إمارات الهوساني الشرق، وعدد قبائلها نحو نصف مليون[3] نسمة تمركز على ضفاف النّيجر شمال غرب نيجيريا.

يقول الاصطحزي (توفي 346هـ/957م) عن بلدان السّودان أنّها: (عريضة إلاّ فقرة قشبة جدا، ويقال: "أنّه ليس في أقاليم السّودان من الحبشة والنّوبة والبجّة وغيرهم إقليم هو أوسع منه ويمتدون إلى أقرب المحيط ممّا يلي الجنوب، وممّا يلي الشمال على مغازة ينتهي إلى مفاوز

---

[1] الدّالي: مرجع سابق، ص 92.

[2] جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا، السّودان، دار: الكتب الإسلاميّة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1984م، ص 81.

[3] بوكي سكينة: الحركة العلميّة بالهوس، السّودان الغربي خلال القرن التّاسع عشر، رسالة الماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، جامعة وهران 2009، ص 24.

مصر من وراء الواحات، ثمّ على مفاوز بينها وبين أرض نوبة، ثمّ على مفاوز بينهما أرض الزّنج)[1].

ويقول المسعودي (ت446خ): (إنّ أرض الحبشة وسائر السّودان ميسرة سبع سنين، وأنّ أرض مصر كلّها جزء واحج من سنين جزءا من أرض السّودان، وتتّصل أقاصي السّودان، وتتصل أقاصي السّودان بآخر بلاد ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن من أرض المغرب[2]، وهي بلاد تلمسان وتيهرت وبلاد فارس، ومثل هذا قال أبو عبد الله البكري (ت487هـ. أبوعبد الله البكري (ت487هـ).

وقول زكرياء البكري (682هـ-1283م) عن بلاد السودان هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط[3] .

1-2- التّركيبة السّكانيّة:

تتكون التّركيبة السّكانيّة للسّودان الغربي من عدّة قبائل، وسلالات ترجع أصولها الأولى؛ إمّا إلى أصول زنجيّة، أو أصول حاميّة، أو أصول ساميّة، وقد وصلت إلى هذه المنطقة عن طريق هجرات متعدّدة نتيجة للظروف الطبيعيّة والمناخيّة، فاستقرّت بهذه المناطق، واندمجت بالمصاهرة، والحماية القَبليّة في بعض الأحيان، وبمرور الزّمن تغيرت الملامح الرّئيسيّة لهذه الأجناس، حتّى أتى الوقت الحالي لا نستطيع تميز بعضها عن بعض، أو نرجعها إلى أصولها الأولى، ولا يمكننّا الحصول على مجموعات ما زالت محتفظة بخصائصها، أو مميزاتها، ونقائها الجنسي، ونورد هذه

[1] صاط أم كلثوم: مملكة صنغاي الإسلاميّة، مذكرة تخرج ماستر، تخصّص: تاريخ، جامعة: سعيدة 2016، ص6.

[2] محمود كعت، تاريخ الفتاش ، ص 43.

[3] صاط أم كلثوم: مرجع سابق، ص 7.

القبائل القاطنة بمنطقة السّودان الغربي: القبائل العربيّة، قبائل الطوارق، قبائل السّونك، قبائل الفلانة[1] .

أ) القبائل العربيّة:

لم تشكل الصحراء أمام القبائل العربيّة أيّ مشكلة في عبورها؛ نظرا لطبيعة بلادهم الصحراويّة، وهم متعودون على اجتيازها، ولهذا فإنّهم وصلوا إلى السّودان الغربي عن طريق هجرات قادمة من الشّمال الإفريقي بعد اجتيازهم للصحراء الكبرى، حيث دخلوا مدن الزّنوج، وتعاملوا مع أهلها بالتّجارة والمصادرة، وبانتشار الإسلام في مناطق السّودان الغربي، فزاد عدد القبائل العربيّة نتيجة لاختلاطها مع السّكان الأصليّين[2] .

ب) قبائل الطوراق:

اختلف المؤرخون في تسميّة الطوارق بهذا الاسم، فمنهم من يقول: "أنّهم سُمّوا بالطوارق، نسبة إلى طارق بن زياد، ومنهم من يرى أنّ التّسميّة جاءت لطَرْقِهم الصحراء، وتوغلهم فيها، وهناك من يرى أنّ التّسميّة أطلقتها عليهم الشّعوب المجاورة لهم؛ نظرا لكثرة ارتيادهم الصحراء[3].

ج) قبائل السّوننك:

هم أحد فروع "الماندي"، الذين يتميزون بقوّة جسمانيّة، وعادات وتقاليد اجتماعية فريدة. سكنوا الصحراء في البداية، ثمّ تمركزوا بعد ذلك على الأطراف الجنوبيّة لها في المنطقة المعروفة باسم "السّاحل"، وامتزجوا بالبربر، والفولاني، ولونهم أحقّ سوادًا نتيجة لامتزاج المبكر بين "السّوننك"، والهجرات الوافدة من الشّمال الإفريقي، اعتنق السّوننك الإسلام، ولعبوا دورا كبيرا في

---

[1] عبد الرّحمان، قدوري: الوجود المغربي بمنطقة السّودان الغربي في القرنين 9و 10هـ، مذكرة: شهادة الماجستير: في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة: تلمسان 2011، ص 5 .

[2] قدوري: نفس المرجع، ص 17.

[3] قدوري، نفس المرجع ، ص 16.

الدّعوة له، وصارت العقيدة الإسلاميّة ذات أثر عميق في حياتهم الاجتماعيّة، حتّى أنّ كلمة سوننك استخدمها "المادينكا الوثنيّين" مرادفة لكلمة "داعي"، ممّا يدلّ على الدّور الكبير الذي لعبوه في نشر الإسلام[1] .

ت) قبائل الفلاني:

تنتسب معظم العائلات العريقة من "الهوسا"، و"الفولاني" إلى قبائل الشّام واليمن، ومهما اختلفت الآراء حول أصولهم، مِنْ بربرية، أوسامية عربيّة، ""الفولاني" شعب عريق لعب دورا رائدا في نشر الإسلام والثّقافة العربيّة الإسلاميّة في غرب إفريقيا، وهم من الشّعوب المهمّة في غرب إفريقيا ينتشرون بشكل واسع جدًا بين ساحل المحيط الأطلسي، وبحيرة تشاد، والكاميرون، وينقسم الفولانيون إلى ثلاثة أقسام هي:

1- الذين يمتلكون البقر، ويهتمّون بالرّعي، ويسمّون "فلاني".

2- المستقرّون، يعملون بالزّراعة.

3-نصف المستقرّين يعملون بالزّراعة، وتربية البقر[2] .

1-3- قيام مملكة سنغاي، وانتشار الإسلام فيها:

أ) قيام مملكة سنغاي:

تبيَن من خلال استقراء المصادر التّاريخيّة أنّ مملكة سنغاي تشكل ثالث أكبر تنظيم سياسي عرفته المنطقة في حدود القرن العاشر هجري (16م)، حيث كانت بداية أمرها عبارة عن مملكة صغيرة تابعة لحكم مملكة مالي قبل أن تستقلّ عنها على يد أحد زعمائها المدعو "سني على"

1 قدوري: نفس المرجع ، ص17.

2 قدوري: نفس المرجع، ص 18.

(1464م-1493م)، ووصلت سنغاي في عهده إلى أوّجها، فتحولت في وقت قصير من مملكة صغيرة إلى امبراطوريّة مترامية الأطراف[1] .

تأسّست هذه المملكة في القرن السّابع الميلادي مِنْ قِبَل قبائل السّنغاي المقيمة على وادي النّيجر، بين "بوريم"، و"ساي" دخلها الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي على يد المرابطين على الأرجح، ولُقِب أمراؤها ب"زا"، حتّى سنة1335م بـ (سني)، وكانت عاصمتهم "كوكيا" على نهر النّيجر الأدنى، ثمّ انتقلت إلى "كاع"، وقد حكمت مملكة سنغاي في عائلة "ضياء" التي يُظنّ أنّها من منطقة طرابلس حتّى سنة 736هـ/1335م[2]، حيث أعقبتها أسرة "سني علي".

ضُمّت سنغاي إلى أملاك مالي منذ سنة 1325م التي كانت من عادة ملوكها كلّما فتحوا منطقة ما أن يتركوا إدارتها لملوكها القدامى، ويأخذوا أبناءهم رهائنًا يقيمون في قصورهم لتجنب ثوراتهم، وقد أخذ ملك مالي عند احتلاله سنغاي رهائن من بينهم (علي بير)، أو (علي كولون) الذي هرب من عاصمة مالي إلى كاغ، وأعلن نفسه ملكا على سنغاي، واتّخذ لقب سني سنة 1335م، وامتنع عن دفع الجزيّة لمملكة مالي.

و تمكّنت هذه الدّولة الفتيّة من صدّ غارات قبائل "الموسى" من الجنوب، والطوارق من الشّمال، وبدأت تتقوّى مع صعود سنى علي الكبير سنة 1465م، الذي استولى على "تنبكن" سنة 1469م، وعلي "جني" سنة 1473م، ويمكن القول: "أنّه المؤسّس الحقيقي لدولة سنغاي بعد أن اتّسعت رقعتها؛ إذ نظّم الدّولة، واستفاد من التّجارة، لكنّ أسرته لم تدم في الحكم، فبعد وفاته سنة 1492م خلفه ابنه "بالحاري" (باري دع)[3] .

ولم يبق في الحكم إلاّ بضعة أشهر؛ إذ ثار عليه أحد قواد أبيه وهو "محمّد بن أبي بكر التّوري" سنة 1493م الذي كان من كبار "ياد سنى علي"، فلمّا بلغه الخبر؛ (أي: خبر ثورة أبناء

---

[1] محمود كعت، تاريخ الفتاش ، ص 43.

[2] الأمين، محمد عوض: السّودان الشمالي، سكانه وقبائله، القاهرة 1965م، ص 26.

[3] ابن بطوطة: تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار: التّراث، ب، ت، ن، بيروت 1992، ص 191.

سني علي، وقتْله) أضمر في نفسه الخلافة، وتحيّل في ذلك بأمور كثيرة، فلمّا فرغ توجّه إليه إلى (باري دع)، فغار عليه في ثاني ليلة من جمادى الأولى من العام المذكور (898هـ/1494م)، فانهزم جيشه، وولّى هاربا.

وسيبدأ بذلك حكم أسرة جديدة في مملكة سنغاي هي أسرة "محمّد بن أبي بكر التّوري" التي ستُعرف باسم أسرة الاساكي او"الأسكين"، والتي مدّت رقعة المملكة حتّى سيكو في الغرب، والصحراء، وفي الشّمال الغربي، محقّقا مالم يحقّقه عاهل مالي "منسا موسى"[1] .

ب) إسلام مملكة سنغاي(400م /1009-1010م):

في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بدأت مرحلة جديدة في تاريخ هذه الدّولة؛ حين اعتنق ملكها (زاكسي) الإسلام[2]، و يذكر السّعدي في هذا الصّدد أنّ " أوّل من تملّك فيها من الملوك "زا" الأيمن، ثمّزازكي، ثمّ زانكي... هؤلاء أربعة عشر ملكا ماتوا جميعا في الجاهليّة، وما آمن أحد منهم بالله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، والذي أسلم "زاكسي" يقال:" له في كلامهم "مسلم بم" معناه، أسلم طوْعا، بلا إكراه –رحمه الله تعالى–، وذلك سنة أربعمائة من هجرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم ..."[3] .

وحسب تاريخ الفتاّش، فإنّ أربعة عشر ملكًا من ملوك "ز" تولّوا الحكم بـ"كوكيا" قبل أن يُحَوِل "زاكسي" المسلم العاصمة إلى "غاو" أربعمائة هجري، بسبب وجود هذه المدينة على الطّرق التّجاريّة، وكثرة التّجار بها مستعيدا قبائل "سوزكو" على طول النّهر[4]، ويذكر بازال "دافدسوف" أنّ ملك "غو" كان اسمه "كوسوى" تحوّل إلى الإسلام سنة 400هـ/ 1009م، وحدث ذلك قبل غزو المرابطين لهذه المناطق، ومن المؤكّد أنّ كثير من الدّعاة والتّجار قد سبقوا هذا الغزو،

---

[1] ابن بطوطة: نفس المصدر، ص 218.

[2] ياقوت الحموي: معجم بلدان، دار النّشر: العلميّة، بيروت، 1990، ج4، ص 552.

[3] الأمين محمّد عوض الله: مرجع سابق ص 55.

[4] محمود كعت: مصدر سابق، ص 43.

وعملوا على نشر الإسلام بين حكام "سنغاي"، و التّنقيبات الأثريّة على ذلك حين وجدت مقبرة قديمة سنة 1939م بها شواهد ما يلي، "هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله، ويرقد في رعاية عبد الله سنة 494هـ (1100م)[1] .

وعمَّ إسلام ملك "سنغاي" خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إلاّ أنّ غالبيّة الأهالي بقوا على وثنيّتهم، إلاّ أنّ الحركة التي قام بها المرابطون أدّت إلى انتشار الإسلام في منطقة السّودان الغربي، وازداد عدد الدّاخلين إليه في مملكة سنغاي[2] .

ولا يُعْرف سوى القليل عن تاريخ سنغاي حِكْما اسميًّا، ولم يشملهم أيّ عسْفٍ، أو اضطهاد من ملوك مالي لأنّهم كانوا على دين الإسلام، وأنّ تجار سنغاي كانوا سادة التّجارة بفضل سُوقَيْ مدينة "غاو"، و "كوكيا" الذين اشتهرا في تلك الفترة ببيع العبيد مقابل المصنوعات القادمة من البحر المتوسط[3] .

وفي سنة 724هـ/ 1323م، استولى ملك مالي "منسى موسى" على "غاو"، وذلك أثناء عودته من الحجّ، ودخل أهل سنغاي في طاعته، وبنى بعاصمتهم مسجدًا، يقول السّعدي:"أنّ سلطان "كنكا موسى"؛ أي، "منسى موسى" هو أوّل من حمى سنغاي في سلاطين مالي"[4]. وكان من عادة ملوك السّودان عند فتح أيّ إقليم أن يأخذوا أبناء الملك رهينة عندهم[5]، وبعد الانتصار الذي حقّقه "منسى موسى أخذ علي "كولن" و"سليمان دار"، ولدي الملك الرّاحل رهينة لضمان

---

[1] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق ، ص 134.

[2] دندش(عصمت عبد اللطيف): دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، 430هـ-1083-1121م، دار: العرب، صوت، بيروت، ص127.

[3] . محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في بلاد السّودان الغربي، دار: الرّشيد، وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1982م، ص45.

[4] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 7.

[5] محمد الأمين عوض الله: مرجع سابق، ص 66.

سيطرته على تلك المنطقة بقول السّعدي: " فلمّا بلغ مبلغ الاستخدام أخذهما سلطان مالي؛ لأنّهما في طاعته، حينئذ للخدمة على عاتقهم لأولاد الملوك الذين في طاعتهم"[1].

واحتجز الأميران علي كولن سني علي لفترة طويلة اطّلعا بوظائف مختلفة في بلاد مالي، وعرفا طرقاته، ومسالكه، وتمكنا بفضل مهارة، على كلن من الفرّار من نياتي في عهد "منسا ماغا" عندما بدأ يصيب مملكة مالي[2]، فلمّا فطن لهما سلطان مالي قام في أثرهما بعض رجاله ليقتلوهما، وكلما دنوا منهما تقاتلوا، فيكسرانهم، وتكرّر القتال بينهم، فلمّا نال منهما أهل "سنغاي"، سميت ب "سن"[3]؛ أي المحرّر وقطع صلتهم بسلطان مالي[4] .

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 6.

[2] بانيكار: مرجع سابق، ص 108.

[3] سن: تكتب أحيانا "سن" ، ومعناها: الخليفة السّلطان. أنظر، كعت: مصدر سابق، ص 43.

[4] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 136.

2- مملكة سنغاي في عهد الأسقيا: محمّد(898-935هـ/1493-1528م):

2-1 تعريف االأسقيا: محمّد التّوري(898-935هـ/1493-1528م):

هو كما ورد في المصادر: أسكيا- أسكي- أبو عبد الله، الحاج محمّد بن أبي بكر التّوري، أو الطوري، الفوتي السّنكلي[1]، ويُعرف ب""محمد التّوري"، وب"ممدو توره"، و"دعي الكوكوي دارا"، و"مسكنا"[2]، وقيل: أنّ أصله يعود إلى أسرة من قبائل "صنهاجة" من جنوب موريتانيا نزلت عائلته إلى أرض قبائل السّنغاي إثر اضطرابات في ديّارهم، وذلك منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، و كان من أبرز قوّاد سني علي الكبير، وأُتُهم بأنّه أحد مدبري اغتياله، أو مقتله، إنْ لم يكن هو القائم على ذلك[3] .

وقام بمواجهة حربية مع ابن سني علي الكبير، وانتزع منه الحكم، ونصّب لنفسه لقب "الأسقيا"، منذ أن آلت إليه مقاليد السّلطة لدولة سنغاي، وصار هذا اللّقب تقليدًا لمن خلفه من أسرته في السّلطة، وتعتبر مدّة حكمه لدولة سنغاي، الذي استمرّ ستًّا وثلاثون عامًّا، وستّة أشهر[4]، وفي رواية تسع وثلاثين سنة، وقيل:"ثلاثة وأربعون سنة"[5] أزهى العصور التي مرّت بها سنغاي.

وهذا على أكثر من مستوى؛ سواء أكان ذلك على مستوى النّفوذ الجغرافي، أو السّياسي، أو على المستوى الحضاري في مختلف جوانبه: الإداري، والتّنظيمي والثّقافي والاقتصادي والعمراني، وكذا نشر الإسلام عقيدة وحضارة بين المسلمين والوثنيّين، فامتدّ النّفوذ الإسلامي إلى منطقة "بحيرة تشاد، وشمل منطقة السّفانا جميعها من الشّرق إلى الغرب، فبلغت صنغاي أقصى

---

[1] السّعدي: تاريخ السّودان، ص71.

[2] كعت: تاريخ الفتاش، ص 2.

[3] الدّالي: التّاريخ السّياسي، ص 109 – 111 .

[4] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 88 .

[5] كعت: تاريخ الفتاش، ص 50 .

اتساع لها، حتّى صارت في القرن (العاشر الهجري/السّادس عشر ميلادي)، أعظم إمبراطورية في غرب السّودان[1] .

2-2- الانتماء العرقي للأسقيا:

أورد صاحب مخطوطة نبذة من تاريخ جني أنّ "أشيا محمّد"، ينتسب إلى "فوتى طوري"، لأنّ والده من هناك، أمّا أمّه، فمن "سنغي"[2] ، كما أورد المغيلي أنّه من أصل "سراكولي" قدم أجداده من الجنوب الموريتاني في الفترة التي حدثت فيها اضطرابات مملكة "غانغ" مع نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، ونزلت عائلته حول النّيجر الأوسط، واختلطت مع قبيلة سنغاي[3] .

أمّا كعت، فقد ذكر أنّه من "طور"، وأمّه "كسى بنت كركي بكر"، وتنسب أمّه إلى "سبط جابر بن عبد الله الأنصاري"[4]، وذكر الوفراني: أنّ آل أسكية أصلهم من "صنهاجة"، وملكوا كثيرا من بلاد السّودان، وأوّل ملوكها "الحاج محمّد سكيه"[5].

تولّى أسكيا محمّد أمر البلاد، وفي أواخر القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وكان من بين المناصرين له "موسى الأموي"، الذي يقال:"إنّه كفله بعد وفاة والده، وعند ما وصل أسكيا محمّد إلى مرتبة كبار ضباط سني علي، كان هو المخطط له إلى أن انتهى به الأمر بانقلابه العسكري على ابن سني علي"، وقد ذكر الحاج محمّد المفتى قائلا: "استطاع مولاي الأموي تطويع الأعناق إلى أسكيا محمّد، عندما تولّى زمام المُلك[6].

---

[1] ميغا هارون المهدي: إمبراطورية سنغاي، دراسة تحليليّة في الترتيب التاريخي والإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، مبحث منشور في مجلة الدراسات الإفريقية، ص 24.

[2] الدّالي: التّاريخ السّياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 111.

[3] محمود كعت: مصدر سابق، ص 16.

[4] السّعدي: مصدر سابق، ص 71.

[5] الدّالي: مرجع سابق، ص 111.

[6] نفسه.

2-3- سيرته الذّاتيّة:

جاء لقب أسقيا بعد انهزام "شي بار"، على يد "أسكيا محمّد"، وتناهى الخبر إلى بنات سني علي بهزيمة شقيقهنّ أمام خصمه، وقولهنّ أسكيا "أشكيا"، والتي تعني في لغة سنغي، لا تكون إيّاه؛ أي: لا يكون ملك، وسماع أسقيا محمّد بمقولتهنّ، وإصراره على أن تكون هذه المقولة "أشكيا" لقبا له ولملوك سنغاي، ومن بعده تحديًا لهنّ[1]، وبعد رجوعه من الحج أصبح يُعْرف بأمير المؤمنين "أسكيا الحاج محمّد"، كما ورد عند أحمد بن بابا الأوراني بأسكي محمّد[2] .

أمّا عن سيرته الذّاتيّة، فقد امتدحه نوح بن الطاهر بقوله:" هذا الخليفة العادل والسّلطان الغالب المنصور القائم أسقيا الحاج، محمّد بن أبي بكر التّور"، ووصفه كعت ب"الإمام الصالح، والخليفة العادل، السّلطان الغالب المنصور القائم أسقيا الحاج محمّد بن أبي بكر التّوري، أصلا الكركوي دارًا، ومسكنًا[3] .

ونعته عبد الرّحمن السّعدي بالمنفذ، وخرج الكروب، ميّزه بإصلاح الأمور، كما أفرد له بابا طويلا، ووصفه فيه بأنّه الأسعد الأرشد أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين الذي فرّج الله به عن المسلمين الكروب، وأزال به عنهم البلاء والخضوب، واجتهد بإقامة أمور الإسلام، وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء[4] .

عُرف الأسقيا: محمّد بمناقبه الجميلة، من حُسْن تدبير السّياسة، والعطف والإحسان على المساكين، والرِّفق بالرّعيّة، وحبّه للعلم وأهله، والتّذلّل للصالحين، وكثَّر العطايا لهم، وكان ملتزما بأداء الصلاة والنّوافل بالرّعيّة، وتقريب العلماء، من أمثال محمّد بن عبد الكريم المغيلي[5] .

---

[1] الدّالي: نفس المرجع، ص 112.

[2] الأوراني(أحمد بابر): الجواهر الحسان في أخبار السّودان، ص 24 .

[3] كعت : مصدر سابق ، ص16 .

[4] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 8- 71 .

[5] كعت: مصدر سابق، ص 16- 59.

الذي أصبح مستشاره الأوّل في الأمور الدّينيّة والسّياسيّة، كما أقام ملّة الإسلام، على أحسن وجه، وأصلح الجبهة الدّاخليّة، بإطلاقه سراح عدد من المساجين منهم، المختار بن محمّد نفي، الذي يعتبر من كبار العلماء، وإرجاع الأكبر عمر إلى سابق عمله، و كلّ هذه الإجراءات اتّخذها، من أجل تهدئة الأجواء السّياسيّة، حتّى يتسنّى له العمل دون أيّة مشاكل[1] .

[1] عبد الرّحمن السّعدي: مصدر سابق، ص72.

3-إصلاحات الأسقيا: محمّد في مملكة سنغاي:

3-1- ظروف تولّي الأسقيا: محمّد توري للحكم:

لم يكن سهلا اعتلاء الأسقيا: محمّد توري لعرش سنغاي؛ بل كان هناك صراعا كبيرا بين أبوبكر داعو بن سني علي، وذلك بعد اخذ الشرعية من خلال فتوى المغيلي ، وأسقيا محمّد بحيث استلم شي بار" أمْر سنغاي بعد وفاة والده، وكان تولّيه أرفع المناصب، محاربا، إلاّ أنّه لم يستفد من هذه التّجربة، على الرّغم من طول مدّتها، وبذلك كان الأسقيا: محمّد على عِلم بضعف خصمه؛ لكونه من المقرّبين من سني علي؛ بل يعتبر الرّجل الثّاني في المملكة[1] .

انتهز الأسقيا: محمّد ضعف شخصية خصمه، وحرّض الجند عليه، فانقسم الجيش إلى مجموعتين: مجموعة تناصر شي بار، وكان معه كبار القواد، و"بنكي"، و"كركي"، و"جند كي"، وغيرهم، وكلّ قائد من هؤلاء القوّاد له جيش يقوده[2]، أمّا الأسقيا: محمّد، فقد انضمّ إليه من القوّاد "منى كور"، و"بركي كور" فقط، فقد أورد عبد الرّحمن السّعدي عن الأسقيا: محمّد: "فلمّا بلغه ذلك الخبر؛ أضمر في نفسه الخلافة، واحتال في ذلك بأمور كثيرة، فلمّا فرغ من إبرام جلّ تلك الحيّل، توجّه إليه، فمن كان معه من خواصه، وأغار عليه في البلد المذكور في ثاني ليلة من جمادى الأوّل المذكور، فانهزم جيشه، وولّى هاربا، حتّى وصل قرية يقال لها:"انكع"[3] .

وفي يوم 24 جمادى الآخر، كان أوّل اصطدام مصلح بينهما، انتصر الأسقيا: محمّد، وفرّ شي بار إلى بلدة زاغ، فبعث الأسقيا: محمّد له رسوله يطلب منه التّسليم، إلاّ أنّ هذا الأخير رفض كلّ رسله بمن فيهم آخرهم محمود كعت الذي أغلظ له شي بار القول، وأخبره بأنّ الحلّ بينه وبين الأسقيا محمّد الحرب، وبذلك أخذ يجهز نفسه، فجهّز نفسه، وأيقن الأسقيا: محمّد، أنّ

---

[1] الدّالي: التّاريخ السّياسي والإقتصادي، ص 109.

[2] محمود كعت: مصدر سابق، ص53.

[3] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 71.

عملية الوساطة باءت بالفشل، فجهّز جيشه، وكان الحلّ العسكري آخر ورقة، لعب بها، واستمرّ ينتظر اثنين وخمسين يوما[1] .

وفي يوم الإثنين رابع وعشرين من جمادى الآخر دارت بينهما معركة حامية الوطيس، انهزم على إثرها شي بار، وفرّ بنفسه إلى (اين)، واستقرّ بها إلى أن توفيّ عام 899هـ/1493م، وكان المناصرون لشي بار أكثر من خصمه، واعتبروه هو الملك الشّرعي، وأنّ ما أقدم عليه الأسقيا: محمّد اغتصابا للحكم بغير وجه حقّ[2] .

ومن هنا برزت أسرة الأساقي الجديدة بتولّي الأسقيا: محمّد الكبير لعرش سنغاي 935/899هـ/1493-1528م التي قفزت إلى حكم المملكة، بعد أن سقطت أسرة السّني، التي استمرّ حكمها مدّة تسعة قرون في مدينة جاو، أمّا أسرة الأساقي، فدام حكمها لمملكة سنغاي، زهاء قرن من الزّمن 899 إلى 1000هـ/ 1493-1591م[3] .

[1] الدّالي: التّاريخ السّياسي، ص 110.

[2] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 71.

[3] الدّالي: مرجع سابق، ص 111.

3-2- جهوده في تنظيم مملكته:

أ) الجانب العسكري والإداري:

اعتلى محمّد الأول الكبير عرش مملكة سنغاي وعمره خمسون سنة، وحكم سنغاي بين 1493م، و 1528م، و كان قبل ذلك ضابطا بارزا من ضباط جيش سنغاي على أيام سني علي، ثمّ ثار بمجرد موت سني علي، وتولّى ابنه سني بار الحكم، وقد حصلت المعركة الفاصلة بين أنصاره وأنصار سني بار قرب العاصمة (غاو) في مكان يدعى (أنكو)، ولمّا انكسر جيش الملك لاذ بالفرّار من جهة أنصار الأسقيا: محمّد، والتجأ إلى الجنوب الشّرقي للبلاد، فدخل بذلك محمّد توري العاصمة منتصرا وسط جيشه الكبير، فعكف منذ تولّيه الحكم على إعطاء البلاد مؤسّسات قارة، فأدخل على الحكومة كثيرا من الإصلاحات[1] .

فقد كانت أوّل أعامله تنظيم دولة، وإعادة بناء جيش؛ لأنّه عدّته في السّلم والحرب، وقد استخدم تكتيكا عسكريا متميزا، بحيث قام بإدخال فرقا من فرسان العرب المغاربة، ومن قبيلة الطوارق، وجعلها في سلاح المشاة، وأنشأ أسطولا من سفن التّموين[2] .

وقد كان لهذا التّكتيك حسب "الدالي" مدلول بعيد المدى، وتكوين جيش من مختلف العناصر، فهو يظهر الوحدة القرابيّة، وتقوية اللّحمة، واختياره عناصر من قبيلة الطوارق، في سلاح المشآة اختيارا، يتمّ عن إطّلاع، خبرة، من قبل الأسقيا: محمّد؛ لأنّ الطوارق يمتازون عن غيرهم من قبائل وسكان الصحراء، بالخفّة والرشاقة، وسرعة العدو، ودقّة التّصويب بالنّشاب والرّماح[3] .

---

[1] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 31 .

[2] كعت: مصدر سابق، ص 16-53 .

[3] الدّالي: التّاريخ السّياسي، ص 114.

ومن بين التّنظيمات أيضا: إنشاء نيابة للملك في تندرم، لموقعها الإستراتيجي، كما استحدث لجباية الضرائب في جاو، وجعل الدّفع عينا، وأنشأ الدّواوين العسكريّة والسّياسيّة والإداريّة، وحدّد اختصاصاتها تحديدا دقيقا، ثمّ أقام حكوماتا إقليميّة، ونصّب القضاة، وعيّن الشّرطة[1]، كما قام تنظيم البلاد على الإقليمي، فألغى الطريقة القديمة في توكيل رؤساء مقابل الاحتفاظ بأولادهم كرهائن[2].

إضافة إلى ذلك اتّخذ كاتبا يكتب له رسائله و(البراءة)[3]، ومن تنظيماته أيضا اتحاد الخدام وإسناد وظيفة محدّدة لكلّ واحد منهم، كما عمد في الجانب الإداري إلى تقسيم المملكة إلى عدّة ولايات تدين جميعها بالولاء لجاو العاصمة، وقد أسند كلّ ولاية إلى وال، واختار الولاّة من بين أقرانه وعبيده المخلصين طيلة أيّام خلفائه من الأسقيا[4] .

ب) الجانب الفكري والدّيني:

تنقل عدد كبير من الفقهاء والعلماء من عرب وبربر إلى مملكة سنغاي، فقد جاءوا من أماكن مختلفة مثل: فاس ومراكش وتلمسان وتوات وغيرها، فمنهم من استوطن بالبلاد، وتصاهر مع سكانها، واندمج في المجتمع، ومنهم من كانت إقامته قصيرة، ومنهم من أقام طويلا، ثمّ رجع إلى بلاده.

---

[1] الدّالي: التّاريخ السّياسي، ص 114-115 .

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، ص 34.

[3] البراءة: هي أن يكتب الخليفة إلى من يأتي بعده بتنصيبه أمير المؤمنين بعده.

[4] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 134.

فشكّلوا جالية عربية وبربرية كبيرة، فأصبح لها تأثيرا ثقافيا بارزا، ونفوذا كبيرا، فكان باستطاعته فقيه مغربي أن يلطخ سمعة حاكم عظيم مثل: "سني علي"، فقد قال محمّد كعت عنه: "ثمّ خلق سلما دام الظالم الفاجر الملعون المتسلط شيء عال يقصد به "سني عي"، وهو آخرهم ملكا الذي سارت الرّفاق تصبح سيره، وكان منصورا، وما قابل أرضا قصده، إلاّ حزبه، وما كسر له جيش كان فيه قط غالبا عليه غير مغلوب... وهو سلطان جبار قاسي القلب يأمر بإلقاء الطفل في المهراس، ويأمر أمّه أن تدقه، وتدقه الأمّ، وهو حي، ويطعمه للخيول، وكان فاجرا فاسقا..."[1] .

أمّا الأسقيا: محمّد، فقد كسب جانب العلماء بكثرة العطايا واستشارتهم والعمل بأفكارهم فيما يخصّ الحاكم العادل، ويخشى منهم في إثارة النّاس ضدّه في حالة الهزيمة، قال كعت: "دولة من المناقب، وحسن السّياسة والرّفق بالرّعية والتّلطف بالمساكين مالا يحصى، ولا يوجد له مثيل قبله، ولا بعده وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدفان وآداء الفرض والنّوافل، وكان من عقلاء النّاس ودهائهم والتّواضع للعلماء، وبذل النّفوس والأموال مع القيام بمصالح المسلمين على طاعة الله وعباده"[2] .

كما كان الأسقيا: محمّد يستشير العلماء المغاربة والمصريّين في مسائل عديدة، فقد ظلّ الفقيه عبد الكريم المغيلي التّلمساني في مستشارا له، وألّف مؤلفاتا حول بعض المسائل الفقيه، وكان الأسقيا: محمّد كذلك له اتّصال مباشر مع العالم الشّهير المصري الإمّام عبد الرّحمان بن أبي بكر السّيوطي(849-911هـ/1445-1505م)، فلمّا كان ذاهبا إلى الحج التقى به، وعمل

[1] كعت: مصدر سابق، ص 69.

[2] نفسه.

بمشورته، ويذكر كعت في الفتاش:" فلمّا تثبت له السّلطة، واستقامت المملكة خرج من ذلك كلّه، وجعل يسأل العلماء عن سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويمشي على أقوالهم رحمه الله..."[1]

ويذكر الوزان عندما زار بلاد السّودان في عهد مملكة سنغاي أنّ هذه البلاد كانت مليئة بالفقهاء والعلماء والأئمّة، وأنّ هؤلاء كانوا يتمتعون برواتب جزيلة، ويعاملون بكلّ احترام وتبجيل[2]، وأشهر العلماء الذين دخلوا بلاد السّودان، وسكنوا بها كانوا من أصل مغربي، فقد تقلّدوا المناصب العديد، وكان منهم القضاة والولاّة ومستشارين للملك وكتابه، وفي نفس الوقت حافظا على استقلاليتهم فقد اشتهرت عائلة أقيتو، وهي من أصل بربري صنهاجي بتولّيه منصب القضاء، والإفتاء في مدينة تنبكت والتّدريس في مسجد سنكرى[3] .

وتلى محمّد عبد الكريم المغيلي منصب القضاء، وكان في نفس الوقت مستشارا للملك محمّد الكبير، حيث استنصحه بالإجابة على مجموعة من الأسئلة وجّهها له[4]، وبعد الغزو السّعدي لمملكة سنغاي أدرك منصور الذّهني سلطان مراكش (1021/986هـ/1603/1578م) أنّه مالم يقضي على نفوذ العلماء، فإنّ بلاء السّودان ستظل في حالة اضطراب دائم[5].

والمهمّ في ما ذكر أنّ عددا كبيرا من علماء وفقهاء المغرب ومصر دخلوا إلى مملكة سنغاي واستوطنوا بها، وشكّلوا جالية كبيرة، كان أثرها واضحا على الحياة السّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعية،

---

[1] كعت: نفس المصدر، ص 11، 12.

[2] محمّد الغربي: مرجع سابق، ص512.

[3] أحمد بابا التّنبكتي: مصدر سابق، ج2، ص 148-291.

[4] محمّد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسقيا محمّد وأجوبة المغيلي، ص 149.

[5] القشتالي: أبو فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كيرم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة والثّقافيّة، الرّباط، و س ط، ص 79؛ مادهو بانيكار: مرجع سابق، ص 443.

يذكر كعت في هذا الصدّد "استقرّ معظمهم في إقليم موركبير الذي كان أهله، وفقهاؤه من المغرب، فيقول :" محمود بن عمر بن محمّد أقيه من بير، فرجع إلى تنبكت –رحمه الله–، فأعلم أنّ واسكي محمّد كارجد أمل موركبير، وفقهائها كلّهم من أصل واحد وجميع من يلقب بمي كميدع، وميتك، وميهود، وميكع، وكيفر، وميتاص، وميغي، وميور، ومينرع، واسم بلدهم يرد كلّ من كان في إقليم أصلهم من المغرب، من عكرى، وونكر[1] .

[1] كعت: مصدر سابق، ص 27.

3-3-الحياة الثّقافيّة والعلميّة في عهد الأسقيا:

كانت مملكة سنغاي من أهمّ الممالك الإسلاميّة التي عرفت في غرب إفريقيا، وخاصّة عندما تولّى الأساقي المقاليد، حيث تحولت بعض المدن إلى مراكز علميّة، وقام العلماء بدور كبير في نشر الثّقافة العربيّة الإسلاميّة فيها، عبر المساجد والمدارس والمجالس العلميّة السّلطانيّة، وميزت هذه المراكز بمناهجها التّعليميّة وموادها الدّراسيّة والإجازات والدّرجات التي تمنحها لطلاب العلم، وقد انتشرت لذلك الكتب والمكتبات، وكان لها كبير الأثر في نشر الثّقافة الإسلاميّة العربيّة في عهد الأساقي، حيث قامت مدينة تنبكتو بدور ثقافي بارز في السّودان الغربي في عهد الأساقي، وثقفت فيها أسواق العلوم، فكانت محطّ رجال العلماء وطلبة العلم، وكانوا يأتونها من كل مكان من داخل البلد وخارجه، ما دنستها عبادة الأوثان، وما سجد على أديمها قط لغير الرّحمان، مأوى العلماء والعابدين[1] .

اعتنى الأسقيا بمدينة جني اعتناء كبيرا، فبنى فيها المساجد ومساكن لطلاب العلم، وأغدق عليهم وعلى أساتذتهم الأرزاق، فاحتلّت مدينة جنى بذلك الدّرجة الثّانيّة في الميدان الثّقافي بعد مدينة تنبكتو، وكان السّلطان الأسقيا: محمّد الكبير أوّل من عيّن القضاة في جنى للفصل بين النّاس وفق الشّريعة الإسلاميّة، اشتهر أمر مدينة جنى بعد ذلك، ونفقت فيها أسواق العلوم والمعارف، ورحل النّاس إليها من كلّ مكان[2].

شملت حركة تأسيس المدارس والمعاهد والمساجد في عهد الأسقيا: محمّد الكبير مدينة غاو، وأوقف الحكام والأثرياء الأوقاف الكثيرة على المساجد والأئمّة والمؤذنين والخطباء والمدرسين في

[1] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 21.

[2] عبد الرّحمان السّعدي: نفسه، ص16.

مدينة غاو، وكانت المجالس العلميّة تعقد، ويحضرها الحكام، وهناك مجلس الجمعة في كلّ أسبوع بعد صلاة الجمعة، علاوة على المكتبات العامة التي كانت تتوفر في مدينة غاو للبحث والمطالعة، ومن أشهر هذه المكتبات، مكتبة "أسقيا داوود"، ومكتبة "أسقيا محمّد الأول"، ومكتبة "أسقيا محمّد بان بن أسقيا داوود"، ويظهرهما تقدم دور مدينة غاوو الثّقافي والعلمي؛ ممّا جعلها مركزا علميا ثقافيا إلى جانب كونها العاصمة السّياسيّة، وإن كان النّشاط العلمي والثّقافي في تنبكتو، وجنى أكثر منها[1] .

وسبّب تردّد على تمبكتو النّاس تعدّد الثّقافات في أعماق السّودان الغربي في عهد الأساقي انطلاقا من المراكز المذكورة سابقا، وذلك بواسطة جهود سلاطين سنغاي (الأساقي) الذين قاموا بدور بارز في تشجيع العلماء، بتأسيس المساجد والمدارس ومساكن الطلاب والنّهوض بأعبائها ماديا ومعنويا، حيث أغدقوا على العلماء وطلبة العلم، وأنفقوا عليهم بسخاء، وأعفاهم من كلّ وظائف السّلطة، ولا شك أنّ هذا الاعتناء من الأساقي قد هيأ للعلماء، ومهّد لهم الطريق لنشر الثّقافة الإسلاميّة العربيّة، فنصّبوا أنفسهم لنشر العلم، وأنفقوا عليهم بسخاء، وأعفاهم من كلّ وظائف السّلطنة[2]...فنصّبوا أنفسهم لنشر العلم في المساجد والمدارس وفي بيوتهم، وتفرغوا لتدريس العلوم بشتّى أنواعها وخاصّة الدّينيّة منها واللّغويّة[3].

ظلّت العلوم الشّرعيّة واللّغويّة تحتل مركز الصدارة في السّودان الغربي، فظهرت مؤلفات وشروحا في مختلف المجالات، خاصّة في الجانب الفقهي، فقد اعتنوا اعتناء كبيرا بأمّهات كتب

[1] محمد ألفا جالو: الحياة العلميّة في دولة سنغاي خلال الفترة 842-100هـ، رسالة ماجستير، تخصّص: تاريخ الحضارة والنّظم، جامعة: أمّ القرى، 1993م، ص 118.

[2] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص27.

[3] نفسه.

المذهب المالكي، فأجنوا، وأفادوا، وقد استطاع العلماء في عهد الأساقي أن يضعوا للحكام قواعدا يسيرون على وفقها شؤون البلاد عين في ذلك مقاصد الشّريعة، وأعراف النّاس في البلاد،

وبفضل جهود العلماء استطاعوا أن ينهضوا بمستوى الوعي الدّيني في أوساط شعب سنغاي إلى أعلى مستواه، ممّا جعلهم يحظون، خاصّة علماء الشّريعة باحترام منقطع النّظير[1]، وفي ظلّ هذا كانت مملكة سنغاي، مملكة ذات ثقافات وعلوم مختلفة عرفت فترات استقرار، خاصّة عهد الأسقيا: محمّد، وكان النّاس أمناء وشرفاء، وكان القضاة عادلين، ولا أثر للرّشوة في المملكة، كما ظلّت العادات الإسلاميّة في الاستمرار، ومنها المثابرة على الصلاة، واستعمال الثّياب البيض والعناية بحفظ القرآن[2] .

من خلال ما تمّ تناوله في هذا الفصل يتّضح، وبوضوح أنّ الأسقيا: محمّد استطاع تكوين إمبراطوريّة ضخمة لم يشهد لها مثيل في تلك المنطقة، حيث قوي فيها الإسلام، وساهم في نشره ورفه مستوى التّعليم في مملكته لتصل إلى قمّة أمجادها.

[1] محمّد ألفا جالو: مرجع سابق، ص 50.

[2] محمّد فاضل علي باري: مرجع سابق، ص 126-127.

الفصل الثالث

رحلة حج الأسقيا محمد و إنجازاته

الفصل الثّالث: رحلة حج الأسقيا محمد

1- رحلة الحج وآثارها:

1-1 وصف موكب الحج.

1-2-آثار ومواقف في ديّار الحرمين.

1-3-الآثار السّياسيّة والحضارة للرّحلة.

2-أثر رحلة الحج في تنظيم مملكة سنغاي:

2-1-الإصلاحات التي قام بها الأسقيا بعد عودته من الحج.

2-2- أثر شخصية المغيلي في حياة الأسقيا.

2-3- نهاية عهد الأسقيا.

3- مملكة سنغاي بعد عهد الأسقيا: محمّد.

3-1-خلفاء الأسقيا: محمّد الكبير.

3-2-الغزو الغربي ونهاية مملكة سنغاي.

الفصل الثالث: رحلة حج الأسقيا محمد

1-رحلة الحج وآثارها:

يعتبر الحجّ شعيرة من الشّعائر الدّينيّة الإسلاميّة ووسيلة مهمّة لتنشيط التّماسك بين الحاكم والمحكوم، ويعدّ أيضا مصدرا مهمّا للإصلاح والتّطوير في الأنظمة الإداريّة، وهذا ماجعل حكام مالي، وسنغاي يولُون هذه الرّحلة أهميّة بالغة، وهذا ما سنراه من خلال رحلة الأسقيا: محمّد للحجّ، وأثرها على مملكته.

1-1-وصف موكب الحج:

منذ وصول الإسلام إلى شعوب إفريقيا الغربيّة في القرون الهجريّة الأولى، ودخولها في رحابه، حرصوا مسلمي تلك الدّيار على أداء فريضة الحج؛ كونها ركن واجب من أركان الإسلام لا يكتمل إسلام الفرد إلاّ بتأديّة هذه الفريضة لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، وذلك رغم مشقّة السّفر ذات المراحل البعيدة والأخطار والمتاعب الكثيرة التي تواجه الحاج وقوافل الحجّ على طول طريق الرّحلة إليه، وفي المقابل فإنّ طول رحلة قوافل الحج الإفريقيّة، والتي قد تستغرق سنواتا-واجتيازها محطّات ومراكز وبلدان عديدة إلى أن تحطّ الرّحال في ديّار الحرمين الشّريفين، ومن ثمّ تمكن فيها ما شاء الله أن تمكن لتقضي مساكنها، وتشهد منافع كثيرة لها، فيكمن البعض مجاورا فيها بلا رجعة، ومن يرجع يسلك المسالك ذاتها التي جاء منها، ومنافع وفوائد وآثار لا تحصى[1] .

وقد حرص قادة الممالك والإمبراطوريات الإسلاميّة في السّودان الغربي على تأديّة هذه الفريضة[2]، ولعلّ من أشهر رحلات الحج التي سلكت طريق الحج من غرب إفريقيا، تلك الرّحلات التي قام بها ملوك غانا، ومالي وأشهرهم السّلطان منسا موسى[3] سلطان مالي، وأسقيا محمّد السلطان الذي سنخصّه بالذّكر.

---

[1] مجلة كان التّاريخيّة، العدد الثّالث والثلاثون، سبتمبر السنة الثّانيّة.

[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 446.

[3] مجلة كان، مرجع سابق، ص 9 .

كانت مواكب حج سلاطين وملوك الممالك الإسلاميّة في إفريقيا الغربيّة مهيبة، أعدادها البشريّة من أمراء ووزراء وعلماء وزعماء قبائل وقادة وأجناد وخدم عامّة، وكذا الدّواب التي تحمل الزّاد والأمتعة والأثقال والهدايا الكثيرة... وكان أداء فريضة الحج من أولويات الواجبات، أو المهام التي تقوم بها قادة تلك الممالك بعد تمكنهم من تثبيت سلطتهم، فتشير المصادر إلى أنّ السّلطان أسكيا محمّد بعد أن بسط يده، ومدّ نفوذه على مملكة صنغاي–السابق–عزم على أداء فريضة الحج في902ه/1498م، فخرج في شهر صفر من تلك السّنة، بعد ما حصل له ثلاثمائة ألف مثقال ذهبا[1] .

وضمّ موكبه أعيان قبائل وعشائر صنغاي وكبار العلماء والأمراء والقادة في مملكته بالإضافة إلى الجند والخدم[2]، حيث تألّف موكبه من ألف و خمسمائة رجل، وخمسمائة فارس، وألف راجل[3]، يقول محمود كعت– وهو أحد أعضاء موكب حج السّلطان من شريحة العلماء– "...فلمّا ملكه الله جميع أرض شي–شي بار– تحقّق تمكنه في السّلطنّة عزم على الذّهاب إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وتهيأ، وخرج في العام الثّاني بعد تسع مائة ومعه من علماء الأعيان ومعه أيضا سبعة من الفقهاء بلده منهم المنسوب تبنك والقاضي محمود يندبع، وأنا معه أي، المبتلى بالتّأليف: أنا محمود كعت...، ومن أمراء النّواحي ابنه أسكي موسى وهد كركي علي فلن وغيرهم، ومن العيد الخدام ثمانمائة عبد..."[4] .

وحسب الدّالي، فإنّ موكب الحج لأسكيا محمّد شقّ طريقه، عبر الأراضي اللّيبيّة، مرورا بمدينة دامس، وطرابلس والمنطقة الشّرقيّة من ليبيا إلى أن دخل الأراضي المصريّة مرورا بالإسكندريّة، والقاهرة إلى الأراضي المقدسة، وهو الخطّ المعتاد نفسه الذي سلكه الملك الرّاحل

[1] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص11.
[2] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 82.
[3] نفسه، ص72.
[4] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص 6–41.

منسا موسى ملك مالي[1]، وقد أفرزت تلك الرّحلة الكثير من القصّص والأخبار والنّوادر والأساطير التي روتها المصادر التي تحدّثت عنها التي تخرج من نطاق المألوف والواقع، وقد يمتزجا معا[2] ما تشكل هذه المادة اتجاها ومجالا أدبيا قائما بذاته جديرا بالاهتمام والبحث العلمي يمكن أن يطلق عليه" أدب رحلات الحج"[3] .

1-2- آثار ومواقف في ديّار الحرمين:

كما سبق وأشرنا فإنّ موكب حج السّلطان مالي منسا موسى، وما أنفقه خلالها من أموال وهدايا على طول خط رحلته، لاسيّما في ديّار مصر والحرمين الشّريفين، حيث أنفق آلاف المثاقيل من الذّهب هدايا وصدقات وأحباس، ثمّ ها هي رحلة أسكيا محمّد سلطان سنغاي بعدما يزيد من القرنين ونصف من رحلة منسا موسى تحضى بذلك الصيب في مجال الإنفاق الخيري وأوجهه المتعدّدة يقول مرافق رحلته محمود كعت:" وتصدّق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهبا، واشترى بمثلها جنانا وبيوتا، وحبسها على الفقراء و العلماء والمساكين[4]، ويقول في موضع آخر... وله خصائص ومناقب في حجمه من ذلك أقبل عليه أهل الحرمين الشّريفين، واشترى في مكة المشرفة بقعة، وبناها دارا، وحبّس الدّار على الكعبة الشّريفة وتلّقاه هناك العلماء والأجلاّء والصلحاء والمرضيّين، وعمّمه شريف مكة، وقدّمه، وولاّة، وألبسه العمامة الزّرقاء، وسمّاه الإمام[5]، وجاء لدى السّعدي:" فتصدّق الأمير في الحرمين من ذلك المال، بمائة ألف ذهبا، واشترى جنانا في المدينة المشرّفة، وحبسها على أهل التّكرور، وهي معروفة هناكن، واتّفق بمائة، واشترى السّلع، وجميع ما يحتاج إليه بمائة ألف[6] .

---

[1] الدالي: التاريخ السياسي، ص 126.

[2] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 82 -83.

[3] مجلة كان دورية تاريخيّة: العدد 33 السّنة التّاسعة، سبتمبر 2016م مرجع سابق، ص 13.

[4] كعت، تاريخ الفتاش، ص 41.

[5] كعت: نفس المصدر، ص 44.

[6] السّعدي: تاريخ السّودان، ص 83.

ورغم شهرة حج منسا موسى، وما تناقلته الأخبار عبر الأجيال من الإعجاب بمظاهر ذلك الموكب وأبّهته كما يذكر السّعدي، ومع ذلك من حيث المقارنة بينما ما أنفقه أسقيا محمّد، فإنّ كفّة الأخير هي الرّاجحة يقول"... فرخ-أرح-أهل المشرق مجيئه- ؛ أي: منسا موسى- ذلك، وتعجّبوا من قوّته في مُلْكه، ولكن ما وصفوه بالجود والكرم لأنّه ما تصدّق به الأسقيا الحاج محمّد فيهما وهو مائة ألفا ذهبا.."[1].

ومن المواقف التي رواها كعت في ديّار الحرمين الشّريفين خلال هذه الرّحلة قوله"...قيل: "سمع رجلا من أهل مكة كان عنده شيء من شعر رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يأتيه التّجار بألوف من الذّهب يطلبون منه أن يغمس تلك الشّعرة الشّريفة المباركة في الماء، ويشربون ذلك الماء، ويغسلون به، فلمّا أتى الرّجل طلبه منه، وأخرجه له، وظفر بشعر منها، وألقاه في فمه، والتقمه باله من فوز ما أحرمه ونعمه وما أوفره[2] .

وموقف آخر في المدينة المنورة في الحرم المدني الشّريف؛ ممّا يدلّ على أهميّة موسم الحج في اتّخاذ المواقف، وإبرام عهود ومواثيق في هذه الرّحاب الطاهرة تأكيدا لحرمتها ومنعها واستحالة نقصها من ذلك قوله" "...وقيل: "لمّا دخل شبكة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم دخل معه بركي منس كور-أحد أعيان القبائل التي انطوت تحت سلطانه في غرب إفريقيا-وأمسك بمعمدة من الشّبكة الشّريفة، وقال: "يا أسقيا محمّد هذا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما دخلت في حرمتهم. أطلب منك أشياء، الأولى ألا تجعل بناتي في الدّار إلاّ بالنّكاح. فقال: "فعلت"، ثمّ قال: "وما الثّانيّة؟" قال: "أن تقف حيث وقفتك في الأمر ولأنهي"، فقال: "فعلت"، وما الثّالثّة قال: فلا تقتل من دخل في داري، ولا من وصلني. فقال: "فعلت"، فقال:

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 8.

[2] كعت: تاريخ الفتاش، ص 4.

"لابدّ أن تعطينّني العهد على ذلك في هذا المكان الشّريف، ويكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شاهدا على ذلك". فقال: "فعلت"، وعقدوا على ذلك[1] .

1-3- الأثار السّياسيّة والحضاريّة للرّحلة:

كان لرحلات الحج السّلطانيّة لسلاطين الممالك الإفريقيّة الإسلاميّة آثارا سياسيّة وحضاريّة متعدّدة الجوانب على المستويين السّياسي والحضاري لدولهم ونظام حكمهم، ومن شأن ذلك تعزيز سلطة أولئك السّلاطين، وإضفاء الصّبغة الشّرعيّة على حكمهم، فقد سبقت الإشارة إلى أنّ السّلطان أسقيا: محمّد قد اصطحب معه في رحلته للحج أعيان القبائل والعشائر في مملكته، وذلك لضمان عدم قيامهم بأيّ تمرّد في حال بقائهم بين عشائرهم أثناء غياب السّلطان من حفاوة وترحاب، وإقرار السّلطنّة، وشرعيتها الإسلاميّة، وذلك في محطّات لرحلة الحج، لاسيّما ديّار الحرمين الشّريفين[2].

فمصادر أخبار تلك الرّحلة تشير إلى حرص السّلطان أسقيا: محمّد على الحصول على هذه الصّبغة الشّرعيّة من شريف مكة-، أو من خليفة عصره العباسي ومن كبار العلماء ...وممّا جاء حول ذلك، ويقول محمود كعت مؤرخ الرّحلة:"...وجعل يسأل العلماء العاملين عن سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ويمشي على أقوالهم رحمه الله، حتّى اتّفق جميع علماء عصره على أنّه خليفة، وممّن صرّح له بذلك الشّيخ عبد الرّحمن السّيوطي، والشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي والشّريف الحسيني مولاي العباس أمير مكه، رحم الله الجميع[3]، ويقول: "...ولقيّ في تلك الأرض المباركة الشّريف العباسي، فطلب منه أن يجعله خليفة في أرض سنغي، فرضى له بذلك، وأمره

---

[1] كعت :مصدر سابق، ص 8

[2] نفسه ، ص 8

[3] السّيوطي(عبد الرّحمان): هو الامام الحافظ، جلال الدين عبد الرحمان بن كمال الدين أبي بكر السيوطي، أبو الفضل المولود في القاهرة ليلة الأحد مستهل شهر رجب في 849هـ/1446م، والمتوفي سنة 911هـ/1506م، صاحب مؤلفات ومصنفات كثيرة في شتّى العلوم والمعارف الشّرعيّة واللّغويّة.

أن يسلّم في أمرته التي هو فيها ثلاثة أيّام، ويأتيه في الرّابع، ففعل، وجعله خليفة، وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة من عنده، فكان خليفة صحيحا في الإسلام[1] .

وفي موضع آخر جاء: "...وأمّا الشّريف الحسني مولاي العباس، فكان مع أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أسكى الحاج محمّد جالسا بحذائه الكعبة يتحدثان، فقال له الشّريف مولاي العباس: "يا هذا، أنت الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلّى الله وعليه وسلّم، ولكنّك جئتنا ملك، والملك والخلافة لا يتّفقان، فقال له كيف ذلك يا سيدي؟، فقال له مولاي العباس: "لا سبيل إلى ذلك، إلاّ أن تخرج عمّا أنت فيه، فأذعن له أسكي طوع، وطرد جميع الوزراء عنه، وجمع جميع آلات السّلطنّة وأموالها، وجعل ذلك كله بيد العباس، وقعد عازلا نفسه. ودخل مولاي العباس في الخلوة ثلاثة أيّام، ثمّ خرج يوم الجمعة، ونادى أسكي الحاج محمّد، وأجلسه بمسجد البلدة الشّريفة مكة، وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء، وأعطاه سيفا، وأشهد كلّ الجماعة الحاضرين بأنّه خليفة بأرض التّكرور، وأنّ كلّ من خالفه في تلك الأرض، فقد خالف الله تعالى ورسوله..."[2] .

ثمّ طلب من أمير مكة مولاي العباس أن يعطيه واحدا من الشّرفاء؛ إمّا أخاه، أو ابنه ليتركوا به، وهذا بعد ما أمره مولاي العباس على أرض التّكرور، وبين أنّه واحد من الخلفاء الإثني عشر. وقال له مولاي العباس:" فسأعطيك إن شاء الله مَنْ هو كأن، ولكن لا يمكن ذلك الآن[3] .

ثمّ تهيأ أسكي الحاج محمّد للرّجوع، فلمّا وصل مصر وجد هناك الشّيخ عبد الرّحمن السّيوطي، فسأله أسكي عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّهم سيأتون بعده، فقال الشّيخ: "هم اثنا عشر، خمسة منهم، بالمدينة، و اثنان بمصر، وواحد بالشّام، واثنان منهم

---

[1] كعت: مصدر سابق، ص 4.

[2] نفسه ، ص 4

[3] كعت: نفس المصدر، ص 7.

بالمدينة، واثنان بالعراق، وقد مضى هؤلاء كلّهم، وبقي اثنان بأرض التّكرور، أنت أحدهما، ويأتي بعدك الثّاني[1] .

[1]كعت: مصدر سابق، ص 4-5.

2-أثر رحلة الحج في تنظيم مملكة سنغاي

2-1-الإصلاحات التي قام بها الأسقيا بعد عودته من الحج:

بعد عودة الأسقيا محمّد من رحلة الحج عام 903هـ/1491م التي انفق فيها أموالا طائلة[1] قام بإصلاحات إداريّة واسعة، كان من أهمّ مميزاتها، أنّها كانت مدعومة بتأيّيد علماء قبائل الفلاني[2]، والطوارق[3] الذين حاربهم من قبل الملك سني علي، واصطحب قسما كبيرا منهم معه في رحلته إلى الحج [4]، واستهدفت إصلاحاته ما يأتي:

- تطبيق الشّريعة الإسلاميّة في جميع أمور الدّولة.

- أطلق سراح مَنْ سجَنهم من قبل سنيي علي.

- حرّر العبيد الذين أشرفهم سني علي.

- ردّ كلّ الأموال الذي أُخِذت غصْبا.

- نصّب في كلّ بلدة قاضيا.

- بنى الكثير من المساجد والمراكز الإسلاميّة، ومعاهد العلم مثل: معهد سنكوري، وغيره في تنبكتو، وغيرها من المدن.

- اهتمّ بنشر الثّقافة العربيّة الإسلاميّة في كافة مراكز دولته.

---

[1] ي.و. بوفبل: الممالك الإسلاميّة في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذّهب عبر الصحراء، ترجمة: زاهر رياض، معهد الدّراسات الإفريقيّة، جامعة القاهرة، 1978م، ص 138.

[2] الدّالي: قبائل الفلان دراسة تاريخيّة، طرابلس، ليبيا، 2006، ص 23.

[3] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 321.

[4] عزّ الدّين موسى، حركات الإصلاح، ص27.

– عيّن الشّيخ "أبو البركات، محمود أقيت" (ق:900هـ/م1547م) شيخا للإسلام وقاضي قضاة في مدينة تنبكنو[1] .

أُعْجِب الأسقيا بما شاهد في المشرق من تنظيم خاصة في الجانب الاداري وهذا ما جعله بعد عودته من الحج يقوم بتنظيم دولته وفق ما شاهده هنالك وهذا ما قاله بعض الباحثين المهتمين بمملكة السنغاي من إن الوظائف الإدارية في هذه المملكة وجدت بعد رجوع الأسقيا محمد من حجه وباطلاعه على ما يحدث بالمشرق[2]

ونظّم دولة، وأنشأ بها هيئة تشريعيّة وقضائيّة، هدف بها المحاولات الإصلاحيّة العربيّة والإسلاميّة التي تبلورت فيما بعد بالدّعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح[3] .

وفي مجال الدّعوة ونشر الإسلام، اهتمّ الأسقيا بتأسيس جيش قوي، ومدرب استطاع به محاربة خصومه، فأخضع بلادا واسعة في منطقتي مالي، والهوسا[4]، حتّى أصبحت بلاد الهوسا كلّها تحت سلطانه، وحارب كلّ القبائل الوثنيّة في السّودان الغربي يعد دعوتها للإسلام، وامتناعهم عنه، وخاض معاركا معهم أوردها صاحب تاريخ السّودان[5] .

---

[1] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 5–76؛ ميقا: الحركة العلميّة، ص 92–93.

[2] صباح إبراهيم الشّيخلي : الكتاب السّابع الأثار الإقتصاديّة ووصف الطرق ، الخرطوم، السّودان ، 28 29 نوفمبر 2016م ص 11.

[3] مهند أحمد مبيضن: فتاوى المغيلي، مصدرا بتاريخ مملكة سنغاي، ص 7.

[4] كعت: تاريخ الفتاش، ص 77؛ ميقا: الحركة العلميّة، ص 93.

[5] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 102.

وأصبحت دولته مترامية الأطراف تمتدّ من المحيط الأطلسي في الغرب إلى نهاية بلاد الهوسا شرقا، ومن إقليم فولتا العليا بركينافاسو حاليا، في الجنوب إلى مناطق الطوارق في الصحراء الكبرى شمالا، فسيطر بذلك على السّودان الغربي كاملا[1] .

أولى الأسقيا محمّد جانب الشّريعة والدّين اهتماما كبيرا، وحاول في بداية عهده السّير على نهج سلاطين الإسلام، من خلال اتّفاقه الكبير على العلم وبيوته، وإقامة الحِسْبة في مملكة، والإنفاق على عابري السّبيل من بلاده والمقيمين في مكة...إلخ[2] .

استنجد الأسقيا بشقيقه يحي، فقتلوه، وتخلّصوا منه، ثمّ ساروا إلى "جاو"، وأجبروا أباءهم على التّخلّي على العرش لابنه موس، ثمّ نفوْه إلى جزيرة نائيّة سنة 934هـ/ 1527 م في النيجر، وبعد أعوام أعاده ابنه إسماعيل إلى جاو، حيث عاش بقية حياته، وقد كفّ بصره، وقام خلالها الألم واليأس، ثمّ قضى نحبه عام 949هـ/1524م[3] .

[1] ميقا: الحركة العلميّة، ص 93.

[2] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 55.

[3] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 143.

2-2-أثر شخصية المغيلي في حياة الأسقيا.

أ) التّعريف بالشّيخ: محمّد بن عبد الكريم المغيلي:

هو محمّد بن عبد الكريم بن محمّد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسين بن بحبا، ويرجع نسب أجداده إلى الحسن المثنى السّبط فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وّسلم ولد المغيلي في قرية مغيلة [1] التي نسب إليها، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، غير أنّ الأرجح سنة (831هـ/1427م)[2]، ونشأ الشّيخ: المغيلي بين أحضان عائلة مشهورة بالعلم والتّقوى والتّصوف، وحفظ القرآن في صغره، أخذ على الشّيخ: محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي مبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهيّة للمذهب المالكي، كما أخذ التّفسير عن الشّيخ: سيدي عبد الرّحمان الثّعالبي، كما أخذ من مدينة بجاية [3] على الشّيخ: أبي العباس الوغليسي [4] ، ثمّ رحل إلى توات

[1] مغيلة: هي قرية بتلمسان سابقا، وهي حاليا بلدية تابعة لولاية تيارت، أنظر، مبروك مقدم: الإمام عبد الكريم المغيلي التّلمساني، إسهاما منه في نشر الثقافة الإسلاميّة بإفريقيا الغربيّة في القرن 8هـ/15م، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص32.

[2] مبروك مقدم: الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 8و9هـ/15-16-17م، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2004م، ج1، ص49-50.

[3] عبد الرّحمان بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التّاسع هجري إلى القرن الرّابع عشر، ط1، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر 2007، ص 100.

[4] الشّفشاوني(محمّد ابن عساكر): دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب، ومشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمّد حجي (موسوعة أعلام المغرب) ط2، 10 أجزاء، دار: المغرب الإسلامي، لبنان 2008، ج2، ص816.

في حدود العام 1479م، قد دخل مدينة تمنطيط [1]، ونزل بقصر أبناء سيدي يعقوب [2] ، فأخذ عن فقهائها، وجالس علمائها، فاشتغل بالتّدريس، واستقرّ الإمّام المغيلي بتوات، وبنى زاويته القادريّة، وهناك وجد الجو مهيأ أمامه للمساهمة في نشر الدّين الإسلامي، في مناطق الهوس، وأصبحت توات بالنّسبة له قاعدة رئيسيّة، ينطلق منها إلى هذه المناطق لنشر الإسلام بين أهلها والقضاء على البدع الوثنيّة والخرافات السّائدة بها [3]، هناك أيضا واجه اليهود الموجودين في إقليم توات، المسيطرين على زمام الأمور في المنطقة[4] ، فأخذ يطاردهم، وهدم كنائسهم، وأنشأ عدّة قصائد يشتم فيها اليهود، ومن ناصرهم[5] .

ب) رسائل الأسقيا، وإجابات المغيلي:

تقدم أسئلة وأجوبة[6] الأسقيا: محمّد بعدا معرفيا، فسياق العلاقة بين المعرفة والسّلطة، أو الفقه والسّلطة، وهي علاقة بين عالِم ذائع الصّيت ومطّلع على أحوال السّودان الغربي الذي هاجر

[1] تمنطيط: هي المدن الكبرى بإقليم توات، وهي كلمة مكونة من اسم أعجمي يعني: بلغة زناته، حاجب العين، ثمن الحاجب طيط، العين، أنظر عبد الرّحمن بكري: مرجع سابق، ص 22.

[2] يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة، ص 70.

[3] ابن بابا جيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج (إقليم توات خلال القرنين 18و19 الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 70.

[4] محمد بن عبد التّنسي: تاريخ بني زيان ملزك تلمسان، تحقيق وتعريب: محمود بو عباد، المؤسّسة للكتاب، الجزائر 1985م، ص 30.

[5] عبد الرّحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، 3 أجزاء، دار: الأمّة، الجزائر 2009، ج3، ص 74.

[6] أنظر، الملحق، رقم 3، (أسئلة وأجوبة المغيلي)، ص83 .

إليه من بلده في الجنوب الجزائري بعد فتوى قيل: "إنّها متطرفة صدرت منه يهود منطقة توات في الجنوب الجزائري[1].

وصل الشّيخ إلى غاو عاصمة سنغاي عام 1502 م، واتّصل بأميرها الأسقيا: محمّد الذي سأله أن يكتب له رسالة ينصحه فيها حول مسائل فقهية؛ لأنّ ثقافة المغيلي هي في الأساس فقهيّة [2]جاءت في شكل أسئلة، وطلب إليه أن يقدم حُكم الشّريعة الإسلاميّة فيها[3] تبدأ الأجوبة التي قدّمها المغيلي بالجملة التّاليّة:

"من عبد الله تعالى، محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي إلى الأمير الحاج، أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر، الملّقب بأسقيا، ويلاحظ على الفقيه المغيلي أنّه لم يخلع السّائل لقب الخليفة، ثمّ بعد هذه المقدمة يشير إلى أجوبته جاءت ردّا عن أسئلة تمّت الإجابة عنها بقوله"...فإنّك سألتني عن مسائل أوّلها: أنّك قلت..."[4].

المسألة الأولى: في طاعة الأمير، وبطانته:

تخصّ القرّاء الذين كانوا في مملكة سنغاي، وكانوا من العجم لا يفقهون العربية إلاّ القليل، ومع ذلك فإنّ منهم المدّرس والقاضي والمفسّر، ويزعمون أنّهم من العلماء، وأنّه يجب الإقتداء بهم، فأنا حائر في أمرهم، فأرجو منك أن تعطيني فتوى فيهم؟.

---

[1] أبو عبد الله المليتي المديوني، التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، ط2، 1942، ص 233.

[2] M.hisket. an Islamic tradition of reform in the western Sudan from then sixteenth to the eighteenth century, bulletin of the school of oriental and African (article consist of 20 pages.

[3] محمّد أحمد المبيضين، فتاوى المغيلي مصدرا لتاريخ مملكة سنغاي، ص 4.

[4] المغيلي، أسئلة، ص 22.

هل يجوز الإقتداء بهم، والعمل بما يقولون؟، أو البحث عن تقاة أو ولّيهم الحكم في أمور الدّين؟، وصِف فيمن يصلح لهذا الأمر شرعا؟[1].

- جواب المغيلي:

أوصى المغيلي أمير الأسقيا: الحاج محمّد بأمرين، أوّلا: أن تبتعد عنك أهل الشّر، وتقرّب أهل الخير؛ لأنّ من الغالب على الإنسان التّأنس بقرينه، والميل إلى طبعه، وتزيّينه، فمن قرَّبْته من نفسك، فقد مكّنته من أُذنك، فقد مكّنته من قلبك؛ لأنّ الآذان ذمام القلب، ولذلك قال الإمام مالك بن أنس: "لا تكن زائغ القلب من أذنك"[2].

أمّا الثّاني: سؤال أهل الذّكر عن كلّ ما لا تعلم بما أنزل الله تعالى لقوله تعالى، "فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون". (سورة النّحل: 43)، ثمّ حذّر الأمير من علماء السّوء الذين يأكلون أموال النّاس بالباطل، وينشرون الفساد فالواجب على الأمير أن يجادلهم، وأن يطردهم، وألا يترك أحد يتكلّم في دين الله بتعليم، ولا حكم، ولا فتوى، حتّى يكون من أهل العلم والفتوى[3].

المسألة الثّانيّة: تتعلّق بسؤال الأمير عن هاته البلاد وأهلها الذين يدّعون الإسلام، ويقولون بأنّهم مسلمون، لكنّ أفعالهم، لا تمتّ بصل إلى الإسلام، فهو كافر بالمعنى الحقيقي يعبدون الأصنام، ويعظمونها، ويقدّمونها في جميع أعمالهم.

فما حكم هؤلاء؟.

---

[1] حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي الإمام المغيلي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الشّريعة الإسلاميّة، 2010، ص 165.

[2] عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص 163.

[3] مهند أحمد المبيضين: فتاوى المغيلي، ص 15.

- جواب المغيلي:

حكم على سني علي وأعوانه بالظلم والفسق وجهادهم واجب شرعا، ثمّ حكم أنّ من عمل عملا يوجب التّكفير، فهو كافر، وإلاّ فلا، وفَصل في ذلك، ثمّ حكم عليه بحكم ما ذكروه له، فقال:" وإذا علمتم ذلك تبين لكم أنّ الذي ذكرتموه في حال سني علي الكفر بلا شك، فإنّ كان الأمر، كما ذكرتم، فهو كافر، وكذلك كلّ من عمل بمثل عمله؛ بل يجب التّكفير بما هو أقلّ ذلك[1].

المسألة الثّالثة: في حكم تركه سني علي وجماعته من أموال استولت عليها، وأرجع جزءا منها من قال: بأنّه مسلم حرّ، ولكن بالنّظر إلى أحوال تلك العباد، فإنْ مازالوا على الكفر وعبادة الأصنام، فهل هذا يُكفرهم، ويحلّ دمائهم إن أصّروا على ذلك، وإلاّ فلا؟، ما حكم ذلك؟[2].

جواب المغيلي:أوصاه الله بأن لا يعلّق المسؤوليّة على سني علي، وما فعله، وإنّما لابدّ من إزالة الباطل، وتثبت الحقّ، فكل ما فعله غيرك، ثمّ صار إليك إنْ كان خيرا، فأثبته، وإن كان شرّا، فأزله، ولو طال زمانه، ثمّ وفى بالأمر بقوله:" واجب عليك أن تُصلح كلّ ما وصل إليك، ولأجل هذا كان فعليك بإطلاق من ادّعى أنّه حرّ مسلم صوابا، وكذلك كلّ ما تعيّن لمسلم معين واجب عليك ردّه، وأمّا أموال اختلطت، وجهل أربابها، فهي بيت المال، فأصرفها فيما أراك الله من المصالح [3] .

---

[1] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 173.

[2] حاج أحمد نورالدين: مرجع سابق، ص 166.

[3] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 174.

المسألة الرّابعة: تتعلّق أسّاسا بالعلاقات بين الدّول وبين الحكام و التّعاون فيما بينهم لمحو الظلم و الفساد، وإعانتهم على الصّلح والإصلاح، وسؤاله عن أعمال السّلطان سني علي الخارجة عن الشّرع، والفقهاء والذين يفتون بغير علم وأعوانهم الذين يظلمون النّاس بغير حقّ.

جواب المغيلي: لخّص المغيلي جوابه بأنّ البلاد ثلاث': " الأوّل، بلاد سائبة؛ ليسلبهم أمير، فادعوهم إلى مبايعتك، والدّخول تحت طاعتك، فإنْ أبوا ذلك، فأجبرهم عليه ما استطعت... فجاهرهم بالسّيف، حتّى يدخلوا كلّهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله، وذلك من أفضل الجهاد وأهمّه.

الثّاني: بلاد لهم أمير، فهؤلاء لا يحلّ لك أن يترعاه في الطاعة، ولا يحلّ لأحد أن ينازعه في رعيّته، فافعل، وإنْ أدّى إلى القتل، فيسّر الجهاد في سبيل الله، وادخل فيه دفع الظّلم على المسلمين، واعتبره أفضل من جهاد الكفار، وهو بهذا يعطي الأولويّة إلى الإصلاح الدّاخلي بين الأمّة؛ بتوحيد الصّفّ، ثمّ بعد ذلك تخرُج إلى العدو بكامل قوّتنا أمّة واحدة، قال تعالى:" إِنَّ أُمَّتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون". سورة الأنبياء-29-[1] .

المسألتان (الخامسة والسّادسة): يسأل فيها سؤالا مهمّا يتعلّق بالخراج والزّكاة، وعن موقفه كأمير المسلمين من تلك الفئة الظّالمة من خاصّة النّاس والتي امتلأت بطونهم، وجيوبهم بما حرّم الله.

[1] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 180.

جواب المغيلي: كان جوابه يوافق الشّريعة الإسلاميّة الدّاعم لأسّس التّكافل والتّواصل بين عامّة النّاس، والمراعي لمبدإ ما نصّ في الحديثين الشّريفين:" النَّاسُ شُرَكَاءٌ فِي ثلاثَةٍ الكَلَأُ والمَاءُ والنَّار"[1]، وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "اللَّهُمَ مَنْ وَلَّى مِنْ أَمْرٍ أَمَتَّنِي شَيْئًا، فالشَّفْقُ عَلَيْه، وَمَنْ وَلَّى مِنْ أَمْرِ أَمَّتَنِي شَيْئًا فرِفْقٌ بِهِمْ فَارْفِقْ به"[2].

ثمّ أعطى الإمام المغيلي قاعدة للأمير، قاعدة يقتدي بها، ويطبقها في حكمه، فقال: إنّ ملاك الدّين الورع، وفساد الدّين الطمع، والورع أن يترْك مالا بأس به؛ خوفا من الوقوع فيما به بأس، فعليك به في جميع الأمور[3].

المسألة السّابعة: هذا السّؤال جاء تلخيصا ومفتاحا لكلّ ما دار بينهما في حوارهما السّابق، حيث يعود إلى مسألة الشّرك والاعتقادات الباطلة والطمع عند الخاصّة، وهو ما أرّق الأمير، وجعله يصرّ على الاستبيان والتّوضيح من الإمام المغيلي، عله يستطيع أن يغير بفتواه، ووعيه مالم يستطع أن يغيره هو بحدّ سيفه، وتلك حكمة بالغة من أمير يحرص على دينه وسلامة رعيّته أوّلا[4].

جواب المغيلي: إجابة المغيلي على هذا السّؤال كانت واضحة وصريحة، انطلق فيها من رؤية الشّرع التي جاءت لتحافظ على كرامة الإنسان، وتصونه من كلّ ما يمكن أن يمسّ شرفه، أو يخدش حياءه كما جاءت أيضا لتحرّم التّلاعب بمشاعر النّاس، والعبث بأفكارهم وعقولهم

---

[1] سنن أبي داوود– كتاب البيوع– رقم 3016.

[2] صحيح مسلم– كتاب الإمارة– رقم 3407.

[3] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 182.

[4] أحمد جعفري: حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة المدّ الإسلامي في إفريقيا، مقال– جامعة العلوم الإنسانيّة، جامعة: غرب كردفان، السّودان 2010، ص 11.

مصداقا لقوله تعالى:" ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَل على الله فهُو حسْبُهُ ". سورة الطلاق-3[1].

وبهذا تكون أسئلة الأسقيا قد قدّمت صورة واضحة عن حالة المجتمع في سنغاي في عهد الأسقيا، وتعدّ بمثابة وثيقة مباشرة عن أحوال المملكة[2].

2-3- نهاية عهد الأسقيا:

بلغت "سنغاير" في عهد الأسقيا: محمّد الأوّل قوّتها التي لم ترد عليها بعده، وأصبحت أكبر 3 إمبراطورية في غرب إفريقيا على الإطلاق؛ سواء في المساحة، أوالسكان[3]، لكن ما أنجزه الأسقيا: محمّد خلال فترة حكمه لم يكن ليستمرّ، فقد كانت خاتمة حياته مشبعة بالمآسي؛ إذ ثار ضدّه ثلاثة من أولاده برعاية أكبرهم، عندما بلغ من الكبر عتيا (96 سنة).

استنجد الأسقيا بشقيقه يحي، فقتلوه، وتخلّصوا منه، ثمّ ساروا إلى "جاو"، وأجبروا أباءهم على التّخلّي على العرش لابنه موس، ثمّ نفوْه إلى جزيرة نائيّة سنة 934هـ/ 1527 م في النّيجر، وبعد أعوام أعاده ابنه إسماعيل إلى جاو، حيث عاش بقية حياته، وقد كفّ بصره، وقام خلالها الألم واليأس، ثمّ قضى نحبه عام 949هـ/1524م[4] .

[1] أحمد جعفري: نفس المرجع ، ص 11.

[2] مهند المبيضين: مرجع سابق، ص 23.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في الأسقيّين، ص40.

[4] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 143.

3- مملكة سنغاي بعد الأسقيا: محمّد

3-1-خلفاء الأسقيا: محمّد الكبير:

اعتلى عرش سنغاي ثمانية ملوك من 935هـ/1528م إلى 1000هـ/1591م، وكان جلّهم يتصف بالقسوة، والفجور، ورجع ليقتل بعضهم البعض، وتركوا العمل العظيم الذي خلّفه لهم المؤسّس الحقيقي لمملكة سنغاي الأسقيا محمّد، فتقوضت أركانه ركنا بعد آخر[1] .

*** الأسقيا: موسى 935هـ/1528-1531م:**

تميّز حكمه بكثرة الفتن والمؤامرات العائليّة، وكان متعطشا للدّماء، وأوّل عمل قام به بعد تولّيه السّلطة هو قتل كلّ من ينازعه العرش، ولقيّ إخوته نهاية دموية، واستولى على حريم عمّه[2]؛ لذلك ناهضه العلماء، وحكّام الأقاليم، ولم يدم حكمه طويلا، وثار إخوته ضدّه بعد حكم لم يتجاوز واحد وعشرين شهرا، ومات مقتولا عام 937هـ/1531م[3] .

*** الأسقيا: محمّد الثّاني 937-943هـ/1531-1537م:**

تولّى السّلطة بعد موسى محمّد ينكن (937هـ/1531م)، ولُقب باسم الأسقيا محمّد الثّاني، وقام بدور هام في توسيع رقعة مملكته[4]، واستطاع خلال حكمه الذي دام ستّ سنوات أن يتغلّب على ثورة إخوته عليه، وكان محمّد الثّاني يحب الرّحلات، فتنقل إلى مختلف أنحاء مملكته في

---

[1] الأمين محمّد عوض الله: مرجع سابق، ص 143.

[2] كعت: مصدر سابق، ص 81.

[3] السّعدي: نفس المصدر، ص 81، 86.

[4] كعت: مصدر سابق، ص86-87.

مواكب فاخرة مع قيادة جيشه[1]، وعزل عن العرش سنة 941هـ/1537م، ولجأ هو وأخوه "الكانفار" إلى ملك مالي[2] .

*** الأسقيا: إسماعيل 943-946هـ/1537-1539م:**

تميّز حكمه بمواصلة الجهاد ضدّ القبائل الوثنيّة في النّاحيّة الجنوبيّة لبلاده، وفكّ أسر والدة الأسقيا: محمّد من سجنه في إحدى الجزر تسمّى "كنكاك"[3]، وحدثت في عهده مجاعة قال عنها كعت:" وكان في أيّام أسكى إسماعيل قحط وجوع"[4]، ثمّ مات من جرّاء طاعون أصابه أثناء حملة على الوثنيّين[5]

***الأسقيا: إسحاق الأول 946-956هـ/1539-1549م:**

يعدّ أهمّ حكّام مملكة سنغاي بعد وفاة أبيه الحاج محمّد لفطنته وذكائه ويقظته قال كعت في وصفه "...وكان إسحاق مرضيا، صالحا، مباركا، كثير الصّدقات، ملازما لصلاة الجماعة، عاقلا، فطنا، ذا دهاء..."[6]، وقال عنه السّعدي"...أجلُّ مَنْ دخل تلك السّلطنة، وأعظمهم خوفا وهيبة..."[7] .

---

[1] عبد القادر زيادة: مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين، ص 42.

[2] كعت: مصدر سابق، ص 85.

[3] نفسه.

[4] كعت: نفس المصدر، ص 92.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين، ص 43

[6] كعت: مصدر سابق، ص 87؛ أمطير سعد غيث: التّأثير الإسلامي في السّودان الغربي ما بين القرنين الرّابع عشر والسّادس عشر، ط1، دار: الرّواد، بنغازي 1996م ، ص 96.

[7] السّعدي: مصدر سابق، ص 96.

واجهت إسحاق مشكلة إعادة النّظام، وروح الانضباط إلى الإدارة، فأجرى حركة تطهير عامّة، وأعدم قادة الجيش، والحاكم عقابا لهم على تصرفاتهم خلال الفوضى[1]، وكان إسحاق ملكا ظالما يذكر السّعدي، أنّه اغتصب بعض أموال من تجار تنبكت[2]، كان رجلا قويا، فقد أرسل رسالة ساحرة بعد التّهديد الذي لقيّه من سلطان مراكش سنة 953هـ/1546م قال له:" أنّ أحمد الذي يسمع ليس هو أباه، وأنّ إسحاق الذي يسمع ليس إنّ أباه مازال ما حملت به أمّه"[3].

*** الأسقيا: داوود 965-990هـ/1539-1582م:**

تولّى حكم الأسقيا: داوود بن محمّد الكبير سنة 956هـ/1549م، ومن أهمّ أعماله الحسنة الاهتمام بنشر الثّقافة العربيّة الإسلاميّة في بلاده، فأنشأ المدارس والمساجد، واتّخذ خزائنًا للكتب، واجتهد في نوادر المؤلّفات، ورتّب نُسّاخًا ينسخونها له[4] .

امتاز بعديد الصفات الحسنة من بينها، التّصدق على الفقراء والمساكين والمحتاجين[5]، وقام بحملات عسكرية ضدّ القبائل المجاورة منهم، "الموسى"، أو "الموشى" سنة 1549م، و" الفولاني"، ومملكة مالي[6]، واتّخذ الأسقيا: داوود مكان إقامته في "تندبي" بدلا من " جاو"، وأبرم اتّفاقا مع الطوارق الذين سيكنون مشارف الصحراء، وشمال تنبكت، وقد كان الطوارق من قبل يمارسون السّلب والنّهب والغارات المفاجئة على المدن[7] .

*** الأسقيا: محمّد الثّالث 990-995هـ/ 1589-1586م:**

---

[1] كعت: مصدر سابق، ص 95؛ مادهوبانيكار: مرجع سابق، ص 96.

[2] السّعدي: مصدر سابق، ص 96.

[3] السّعدي: نفس المصدر، ص 99.

[4] كعت: نفس المصدر،ص 95؛ أمطير غيث: مرجع سابق، ص 96.

[5] كعت: مصدر سابق، ص 97.

[6] مادهوبانيكار: مرجع سابق، ص 127.

[7] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين، ص 47.

تولّى سلطة الأسقيا: الحاج محمّد بن داوود في مكان أبيه، فتميّز برجاحة عقله، ووثقة رأيّه، ووصفه كعت بأنّه: "...كان رجلا مليحا لحياته، مهيبا، ذا مروءة"[1]، أمّا السّعدي، فقال عنه:" ليس له مثل يومئذ من أهل سنغى كافة في النّجدة، والشّجاعة، والصّبر، والحمل..."[2] .

وما إن تولّى الحكم حتّى أرسل السّلطان المغربي مولاي أحمد المنصور رسوله محمّلا بالهدايا النّفيسة، وبلّغه التّهنئة، فرحّب بالرّسول، ثمّ قدّم له أضعاف ما أرسله السّلطان من الهدايا، منْ خدّام، وخصيان[3]، وكان الهدف أنّ السّلطان المغربي أراد التّجسّس على أحوال مملكة سنغاي بعد أن خطّط لغزو بلاد السّودان[4] .

وفعلا أرسل حملة عسكريّة مباشرة بعد رجوع الوفد، ولكن لم ينتج عنها شيئًا، ورجعت إلى مراكش، ثمّ أرسل مولاي أحمد المنصور حملة ثانيّة تتكون من مائتي فارس فقط، احتلّت ممال تغازا، حيث بقوا فيها مدّة قصيرة، وتركوها، وعادت الممالح لأهلها من جديد، وعزل محمّد الثّالث عن الحكم بعد أربع سنوات من تولّيه الحكم[5] .

*** الأسقيا: محمّد بان 995-997هـ/1586-1588م:**

كانت فترة حكمه قصيرة، دامت سنة وأربعة أشهر، حدثت خلالها مجاعة كبيرة، وعاش النّاس شظف العيش[6]، وفي عهده اندلعت حرب أهليّة، وقتل عدد كبير من إخوته الذين كان يشكّ في إخلاصهم له، ثمّ مات في السّنة التّاليّة بعد الحادثة، ولم تر البلاد في عهده سوى الفوضى والاضطراب[7].

---

[1] كعت: مصدر سابق، ص 119.

[2] السّعدي: مصدر سابق، ص 114.

[3] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 146.

[4] نفسه.

[5] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في العهد الأسقيّين، ص 51.

[6] كعت: مصدر سابق، ص 126.

[7] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص 51.

*** الأسقيا: إسحاق الثّاني: 997-1000هـ/ 1588-1591م:**

بعد وفاة محمّد بان بويع الأسقيا، إسحاق الثّاني بن داود سنة 997هـ/1588م، حيث عمل على تثبيت أركان حكمه من خلال صراعه مع إخوته[1]، وفي هذه الظروف السّيئة التي تمرّ بها المملكة ظهرت مطامع سلاطين المغرب الأقصى، فكانوا يسعون إلى الاستيلاء على مصالح تغاز، والدّفاع عن العقيدة الإسلاميّة بحكم أنّهم خلفاء للمسلمين[2] .

3-2- الغزو المغربي ونهاية مملكة سنغاي:

انطلقت الحملة يوم 29 أكتوبر 1590م، وتضمّ جيشا تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، وألفا من الفرسان، والمشاة، وخمسمائة من الخيّالة الخفيفة المسلحين بالرّماح، وستّة مدافع كبيرة، وأخرى صغيرة حُملت على الإبل، وكانت غالبية رجال المدفعية من أصل أوربي (إسبان- برتغال- أتراك) يقودهم القائد "جودر"، وهو من أصل إسباني، كما ضمّ الجيش مجموعة من السّجناء الذين يحملون البنادق ، كانوا من أسرى معركة القصر الكبير.

ومن خلال هذا الوصف نلاحظ أنّ عدد المغاربة في الحملة لا يتعدّى ألفا وخمسمائة مقاتل، وبذلك تمّ استخدام اللّغة الإسبانيّة بين أفرادها[3]، وتنتقل مع الحملة مالا يقلّ عن ثمانية آلاف من الإبل والجواد محمّلة بقراب الماء والخيام[4] .

---

[1] السّعدي: مصدر سابق، ص 153.

[2] عبد العزيز بن محمد الفشتالي: مناهل الصفاني أخبار الملوك الشرفاء-تحقيق: عبد الله كنون، الطبعة المهدية، الرّباط 1384هـ/1964م، ص 55.

[3] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص138؛ عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 151/ Alfogonse,Geuiliy :op,p 63.

[4] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 138.

واستندت قيادة الجيش للقائد "جودور"، وهو من أصل إسباني وقع في أسْر المغاربة في صغره، وتربّى في القصر الملكي في مراكش، وامتاز بجباية الخراج، وحُسْن الإدارة والتّنظيم لم تكن له دراية كبيرة على قيادة الجيش[1] .

وكان هدف الحملة السّيطرة على غاو، وتنبكت، والقضاء النهائي على دولة سنغاي، وضمّ حدودها للمغرب، وجاء في تذكرتي النّسيان أنّ "جودر" فتى أزرق، وهو أوّل من تحرّك من مراكش إلى سنغاي في العام التّاسع والتّسعين، وفي مدّته تحرّك إلى سنغاي، وقاتل مع أسقيا: إسحاق بن أسقيا داود، وكسر جيشه طرفة عين[2] .

وانطلقت الحملة من مراكش متجّهة نحو جبال الأطلس، ثمّ درْعه، ومن بعدها تمرّ بتنغازا، وتاو ديني، إلى ولاته، ثمّ أروان[3]، وقطع الجيش تلك المسافة في حوالي شهرين على الأقلّ، وأصابه خلال السّير الجوع والعطش، فمات بسبب ذلك ثلثي الرّجال، ولم يبق، إلاّ ألف رجل[4].

وفي فبراير 1591م وصل جودر مع جيشه إلى نهر النّيجر عند قرية "كوبر"، واقتربوا من العاصمة جاو[5]، وفي المقابل لم يستعدّ أهل "تسعى" للحرب، ولم يأخذوا احتياطاتهم الكافيّة لاعتقادهم أنّ الجيش المغربي لا يمكن له اجتياز الصحراء، ولم يقوموا بتسهيم الآبار، وتحضير

---

[1] السّعدي: نفس المصدر، ص94.

[2] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيّين، ص 94؛ مجهول: "تذكرة نسيان في أخبار الملوك السّودان، نشره: هوداس–مكتبة أمريكا والشرق، باريس 1996، ص 2.

[3] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 152.

[4] محمود كعت: مصدر سابق، ص125.

[5] عبد العزيز القشتالي: مصدر سابق، ص 125.

الأسلحة؛ ممّا سهّل الأمر على المغاربة، وزحف جودر على " غو"، و "جاو"، واستعد إسحاق الثّاني بجيش صغير، والتقى الجيشان في " تندى" قرب نهر النّيجر"[1] .

وتمّ تدمير مملكة سنغاي شهر فبراير1591م في معركة (tondibi) من طرف المغاربة ليفتح بعدها غرب السّودان على فترة كبيرة من عدم الاستقرار[2]، ولم يصمد جيش سنغاي، وانهزم بسرعة فائقة بسبب قلّة تدريب، وضعف الأسلحة، فظلّ بعضهم يضرب برماحه، حتّى فنيّ على آخره[3] .

ودخل جودر العاصمة(غاو)، أو (جاو)، وحاول إسحاق الثّاني التّفاوض معه بدفع الجزيّة السّنويّة، وتقديم هدية من مائة مثقال من الذّهب ومائة من العبيد، وقد قبلها (جودر)، ولكنّه بقي ينتظر ردّ السّلطان[4] المنصور، ووصفه بأنّه أسّس هذا المجد الذي ينتمي إليه، ولم يصل إلى علم أحد ما حدث للجيش ذِكْره من مآسي الحوادث، والمعلومات التي وصلت إلى السّلطان مفادها أنّ البلاد فقيرة، ولم يكن بها ذهبا[5] .

وغضب السّلطان مولاي أحمد المنصور من قائده على توقيف القتال، والتّفاوض مع إسحاق الثّاني، فأزاحه، ونصّب مكانه القائد محمود بن زرقون[6]، وعند وصول هذا الأخير إلى مملكة

---

[1] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 139-140.

[2] السّعدي: نفس المصدر، ص 140.

[3] السّعدي: نفس المصدر، ص148؛ محمود كعت: مصدر سابق، ص147.

[4] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص148؛ كعت: مصدرسابق، ص 147.

[5] عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 158.

[6] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 144.

سنغاي وجد أنّ مشكلة قوارب ،. فقطع كلّ الأشجار التي حول تنبكت، واقتلع أبواب المنازل، ووضع السّفن التي تمكنه من أن ينقل جيشه إلى الشّاطئ الآخر[1] .

وألحق بعد ذلك هزيمة أخرى بإسحاق الثّاني في المناطق التي التجأ بها، انسحب هذا الأخير وأصحابه، ثمّ مات بقليل بعد ذلك سنة 1592م[2]، وعندما لاحظ خلَف إسحاق الثّاني "محمّد كاغ" سيطرة المغاربة على البلاد اتّصل بالقائد محمّد بن زرقون، وحصر مع جيشه ليقدّم الولاء للمنصور، فقبض عليهم جميعا، ووُضعوا في الأغلال، ثمّ قُتِلوا[3] .

وواصل المقاومة الأسقيا: داوود، فطارد القائد محمود بن زرقون، وأوقع به الهزيمة في عدّة مواقع[4]، ولم يصمد الأسقيا طويلا؛ بل قُتل سنة 928هـ/ 1594م، وبموته انتهت مملكة سنغاي، وانهارت حدودها من أعالي السّنغال إلى حدود نيجيريا الحديثة بعد الغزو المغربي[5]، وبذهابها لم تبق بعدها قوّة ذات خطر في بلاد السّودان الغربي[6].

من خلال ما تطرّقنا إليه يتّضح لنا جليًّا أثر رحلة الحجّ التي قام بها الأسقيا: في تطوير مملكته في العديد من المجلاّت استنادا لِما شاهده في المشرق، واحتكاكه بالعديد من العلماء شجّعته على المُضي قُدُما في تطوير مملكته، وتوسيعها من خلال محاربته للوثنيّين والرّغبة في نشر الإسلام في بعض المناطق المحيطة، ومرجعيته في ذلك رجال الدّين، أمثال: "المغيلي" إلى

---

[1] عبد الرّحمان السّعدي: نفس المصدر، ص 148.

[2] محمد عبد الفتاح إبراهيم: مرجع سابق، ص 149.

[3] عبد الرّحمان السّعدي: مصدرسابق، ص 151؛ عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 152.

[4] عبد الرّحمان السّعدي: مصدر سابق، ص 151، عبد الرّحمان زكي: مرجع سابق، ص 158.

[5] مجهول:" تذكرة النّسيان، مصدر سابق، ص 5.

[6] مور أوليف : تاريخ إفريقيا في العصر الحديث، ت، المركز الثقافي للتّعريب والتّرجمة، ط1، دار: الكتاب الحديث ، القاهرة 2009، ص 27.

أن وصل إلى نهاية حكمه، وبهذا تدخل مملكة سنغاي عهدا جديدا بقيادة أساقي جدّد خلفوا الأسقيا: محمّد في حكمه.

خاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لشخصية الأسقيا: محمّد التّوري (897-935هـ/ 1492-1528م) من خلال مصدري تاريخ الفتاش "لمحمود كعت وتاريخ السّودان "لعبد الرّحمان السّعدي تبيّن لنا.

أنّ شخصية الأسقيا: محمّد شخصية تاريخية مهمّة بإجماع جلّ الباحثين نظير إنجازاته المحقّقة، ورغم كلّ ما قيل، وما يقال عن طريقة وصوله لعرش مملكة سنغاي.

طريقته ونظرته في كيفية تسيّير شؤون حكم مملكة سنغاي جعلته يحضى بالقبول لدى العام والخاص في هذه الدّولة بحيث أنّه قام بالكثير من الإصلاحات الهامّة مسّت العديد من الجوانب بداية بـ:

* تنظيم دولته واهتمامه بالنّظام الإداري.

* إنشاء مقاطعات، ومدنا جديدة، وتعيّين حكام على كلّ منها.

* الاهتمام بالقضاء، وتنصيب القضاة .

* تشجيع الازدهار الاقتصادي في المملكة بحيث أنّه نظم الأسواق، وخفّض الضرائب.

- إنّ الجهود الجبارة للأسقيا: محمّد في تنظيم دولته في المجال العسكري والإداري والاقتصادي لم يلهه عن الجانب الدّيني الذي اعتنى به عناية كبيرة؛ ممّا جعل له مستشارين يستشيرهم في كلّ أموره.

- إنّ رحلة الأسقيا إلى الحجّ، والتي قام بها عام 902هـ/ 1496م كان لها أثرا بليغا في شخصية الأسقيا: محمّد بحيث أنّه عاد إلى مملكته بعد الحج، مزودا بالشّريعة الإسلاميّة، كما أنّه حصل من طرف شريف مكة على لقب "خليفة السّودان".

– تأثير الأسقيا: محمّد بكلّ ما شاهده في المشرق من تنظيمات إدارية وعسكرية جعلته يعمد إلى اصطلاحات جديدة عادت بالقائد على مملكته.

– اهتمام الأسقيا: محمّد بنشر الدّين الإسلامي في المنطقة جعلته يقوم بالعديد من الفتوحات باسم الجهاد الإسلامي بحيث أنّها قام بإخضاع العديد من القبائل الوثنيّين الذي صاحبه اتّساع الرّقعة الجغرافيّة لدولة سنغاي.

– لكن بالرّغم من كلّ ما حقّقه الأسقيا: محمّد من مجد وازدهار لدولته، إلاّ أنّه ومع كبر سنّه بدأت تظهر أطماع أبنائه الذين أجبروه على التّنازل عن الحكم سنة 1528م.

وبذلك دخلت مملكة سنغاي في فترة حكم جديدة بقيادة العديد من الأساقي الذي خلفوا الأسقيا: محمّد.

وفي هذه المرحلة بدأت تظهر بوادر الضعف لهذه المملكة؛ ممّا أدّى إلى انقسامها من بعد حملة المنصور الذّهبي سلطان المغرب سنة 998هـ–1590م.

فاستولى على العاصمة "جاو" وبذلك تكون نهاية هذه المملكة الكبيرة، وفي الأخير تتجلى بوضوح أن فترة حكم الأسقيا محمد كانت فترة شاملة حافلة بالإنجازات العظيمة مما جعل اسمه من بين الأسماء التاريخية المعنية بالدراسة.

الملاحق

الملحق رقم 01:

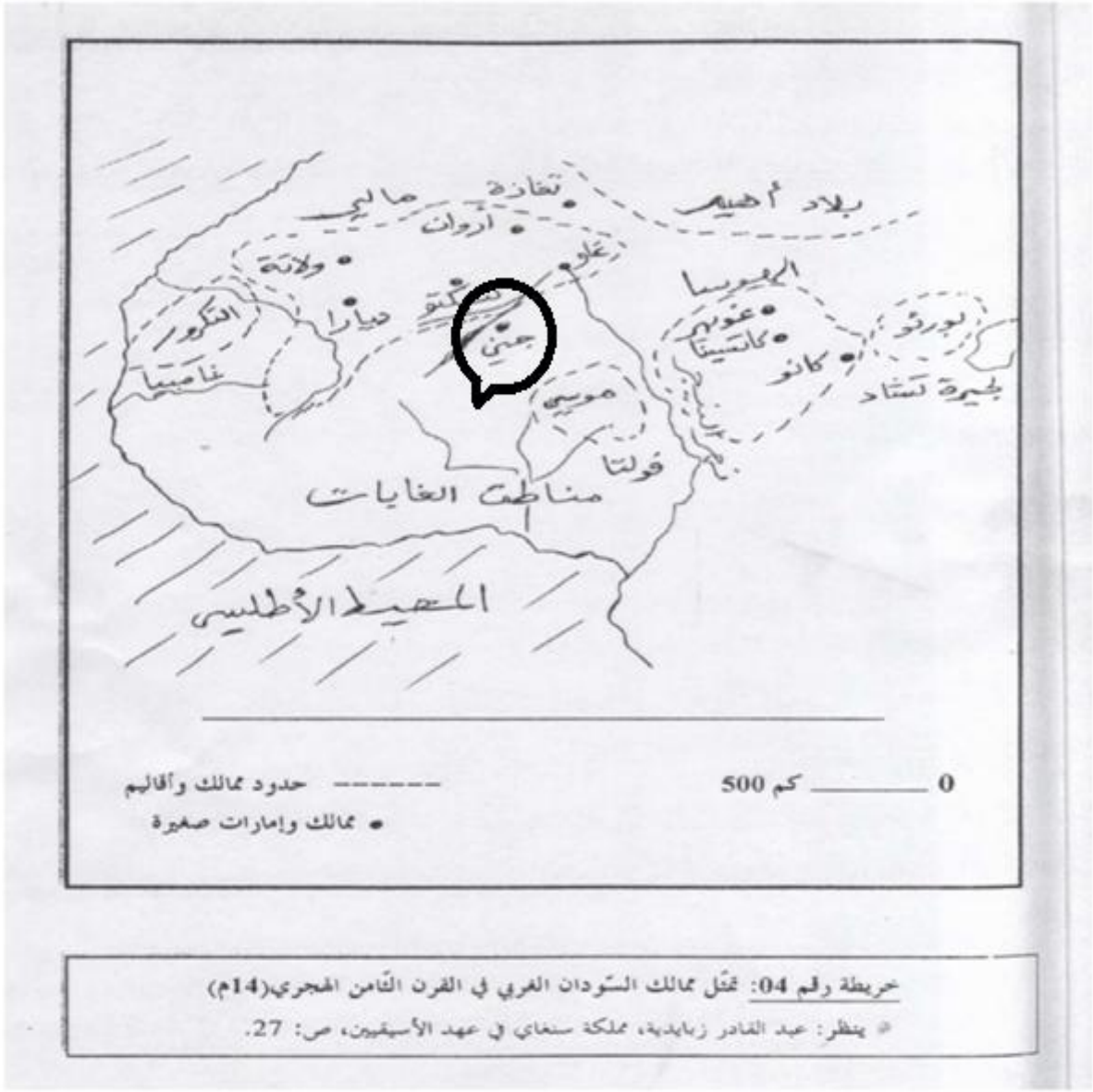

خريطة رقم 04: تمثل ممالك السّودان الغربي في القرن الثّامن الهجري(14م)

ينظر: عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، ص: 27.

مفتاح الخريطة: : مدينة جنى

الملحق رقم 02:

خريطة توضح مملكة سنغاي خلال 400هـ / 1010م .

الملحق رقم 03:

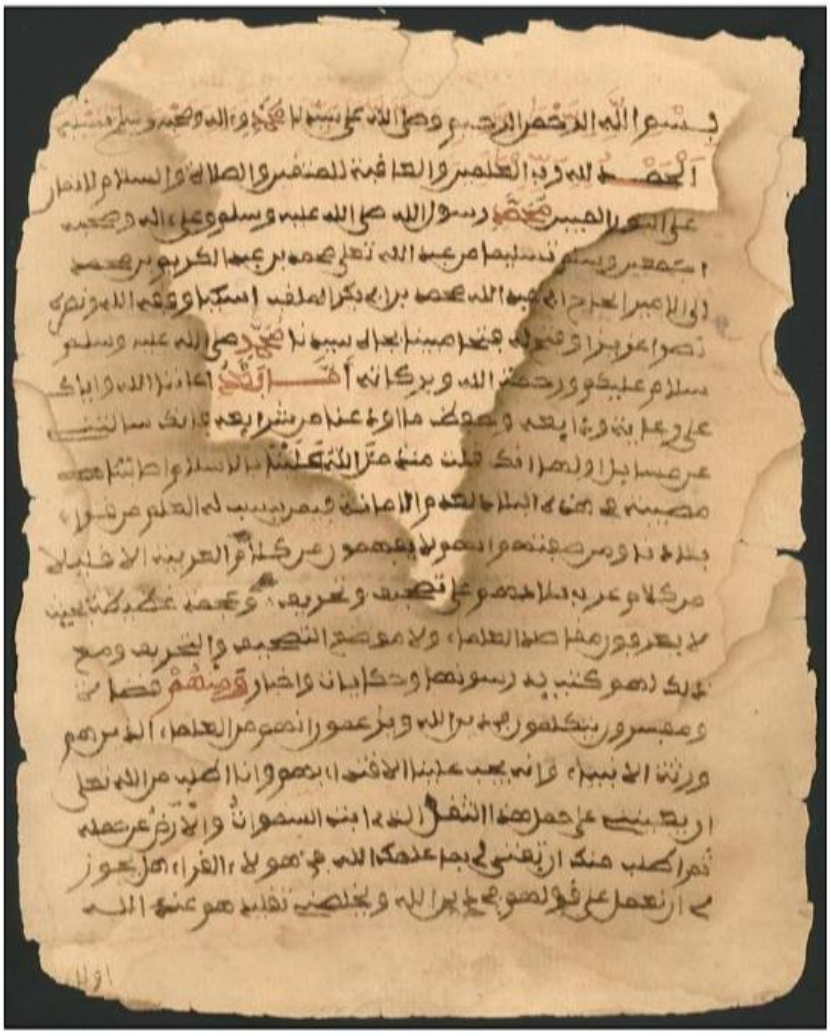

الورقة الأولى من أجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا، رقم المخطوط 14، مكتبة ماما حيدرة مدينة سيفوا بمالي.

القائمة البيبليوغرافية

القرآن الكريم.

الأحاديث النبوية.

المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

– أحمد بابر الأوراني: الجواهر الحسان في أخبار السّودان.

– أحمد بابا التّنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تق، عبد الحميد عبد الله، منشورات: كليّة الدّعوة الإسلاميّة، طرابلس 1989، ج1.

– ابن بطوطة، شمس الدّين، محمد بن عبد الله الولاتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار: بيروت للطباعة والنّشر، لبنان، 1980م.

– ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق: فرج محمود فرج إقليم توات خلال القرنين (18و19)، ديوان: المطبوعات الجامعيّة، الجزائر 2007م.

– التّنسي، محمّد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق: محمود بو عباد المسية الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1985م.

– التّلمساني، ابن مريم الشّريف المليتي المديوني: السّكان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر 1986م.

– الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار: صادر، دمج 4، بيروت، لبنان، د، س، ط.

– ابن خلدون: عبد الرّحمان بن محمّد: تاريخ ابن خلدون المسمى، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء 5، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م.

– السّعدي عبد الرّحمان: تاريخ السّودان، المدرسة البارزيّة لتدريس الألسنة الشّرقيّة، باريس، 1981، د ط.

– السعدي عبد الرّحمان: تاريخ السّودان، طبع هوداس، باريس 1981م.

– الشّفشاوي، محمّد بن عساكر، دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب ومشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، (موسوعة أعلام المغرب)، ط10، 2 أجزاء، دار: الغرب الإسلامي، ج2، تونس 2008م.

– عبد الرّحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار: الثّقافة، بيروت، 1980م.

– القشتالي: أبو فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كيرم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة والثّقافيّة، الرّباط، و س ط.

– كعت محمود بن الحاج المتوكل: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس، نشر: هوداس، 1964م.

– المغيلي، محمد بن عبد الكريم، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زبادية، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر 1974م.

– مجهول: تذكرة النّسيان في أخبار ملوك السّودان، نشره: هوداس، مكتبة أمريكا، الشرق، باريس 1996م.

– الوزان، حسني بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمّد حاجي، ومحمّد الأخر، جزان، ط2، دار: الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

المراجع العربية:

- أمطير سعد غيث: التّأثير الإسلامي في السّودان الغربي ما بين القرنين الرّابع عشر والسّادس عشر، ط1، دار: الرّواد، بنغازي 1996م.

- الأمين محمّد عوض: السّودان الشمالي، سكانه وقبائله، القاهرة 1965م.

- إبراهيم حسن إبراهيم : إنتشار الإسلام في القارة الإفريقيّة، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، 1963م.

- التّوفيق أحمد، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربيّة، منشورات: عكاظ جمعية موظفي كليّة الآداب، الدّار البيضاء 1996م.

- جعفري عباس حمدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار: الفكر للطباعة والنّشر، الأردن، 2001م.

- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي على عهد الأسقيّين (1493-1591م)، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د- ساط.

- الشكرواي خالد: فاس من خلال المصادر السّودانيّة، قراءة أوليّة، منشورات: معهد الدّراسات الإفريقيّة الرّباط، وكليّة الآداب سايس فاس وإفريقيا، ط01، 1996م.

- عبد الرّحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار: الثّقافة، بيروت، 1980م.

- عصمت عبد اللّطيف دندش ، ذ: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515هـ)، دار: الغرب الإسلامي، بيروت 1988م.

- عبد الحميد بكري: النّبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التّاسع هجري إلى القرن الرّابع عشر ط2، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر 2007.

- المبروك الهادي الدّالي: التّاريخ السّياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثّامن عشر، ط1، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة، 1993م.

- مقدم مبروك: الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارة وممالك إفريقيا الغربيّة خلال القرنين الثّامن والتّاسع والعاشر الهجري، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر 2002م.

- مقدم مبروك: الإمّام عبد الكريم المغيلي التّلمساني إسهاماته في نشر الثّقافة الإسلاميّة في إفريقيا الغربيّة في القررن 9هـ/ 15م، دار: الغرب للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د، سن ط.

- محمّد الغربي: بداية الحكم المغربي في بلاد السّودان الغربي، دار: الرّشيد، وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، 1982م.

- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا إفريقيا الغربيّة، ط2، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر 1975.

- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربيّة الإسلاميّة من مطلع القرن السّادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار: هومة للنّشر والطباعة، الجزائر، 2001م.

المراجع باللغة الأجنبيّة:

Lugien Marg : le pays mossl, émile larose libraire _ éditeur ,paris, 1909.

M.hisket. an Islamic tradition of reform in the western Sudan from then sixteenth to the eighteenth century, bulletin of the school of oriental and African (article)

المراجع المعربة:

01/ بانيكار كمادهو: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريّة الزّنجيّة في غرب إفريقيّة، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، ط2، المجلس الأعلى للثّقافة، 1998م.

02/ بروفنسال ليفي: مؤرخو الشّرفاء، تعريب: عبد القادر خلادي، دار: المغرب للنّشر والتّراجم للتّأليف، الرّباط، 1977م.

03/ جوزيف جوان: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السّوداء، ترجمة: مختار السّويفي، ط1، دار: الكتب الإسلاميّة، دار: الكتاب المصري واللّبناني، القاهرة، لبنان، 1984م

04/ فليكس ديبرا: تمبكت العجمية، ترجمة: عبد الله عبد الرّزاق شوقي، عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2003م.

05/ مور أوليف: تاريخ إفريقيا في العصر الحديث، المركز الثّقافي للتّعريب والتّرجمة ط1، دار: الكتاب القاهرة 2009م.

الرّسائل والأطروحات الجامعيّة:

– أحمد الجعفري: حوار الإمّام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة المدّ الإسلامي في إفريقيا، جامعة العلوم الإنسانيّة–مقال–السّودان.

– بوكي سكينة: الحركة العلميّة بالهوس، السّودان الغربي خلال القرن التّاسع عشر، رسالة الماجستير في التّاريخ، الحضارة الإسلاميّة، جامعة، وهران 2009م.

- الباز السّيد أحمد: الحياة العلميّة والثّقافيّة في بلاد السّودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي (999- 638م/ 1240-1531م)، رسالة ماجستير، معهد الدّراسات الجامعيّة، القاهرة، 1994م.

- حسن علي إبراهيم الشّيخي: تأثير الإسلام، وثقافته في السّودان الغربي القرن الحادي عشر

إلى القرن السّادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، جامعة: أمّ درمان، السّودان 2008م.

- حاج أحمد نور الدين: المنهج الدّعوي للإمام المغيلي من خلال الرّسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير في التّاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان 2012/2011م.

- صاط أم كلتوم، مملكة سنغاي الإسلامية، مذكرة تخرج تخصص تاريخ جامعة سعيدة، 2016م.

- عبد الرحمان قدوري: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 1099هـ، مذكرة شهادة الماجيستر في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة تلمسان 2011م.

- محمد ألفا جالو: الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842-100هـ، رسالة ماجيستر تخصص تاريخ الحضارة والنظم جامعة أم القرى 1993م.

- مهند أحمد المبيض: فتاوى المغيلي مصدرا التاريخ سنغاي

المجلات والملتقيات والدّوريات:

01/ دورية كان التّاريخيّة: العدد 33 السّنة التّاسعة، سبتمبر 2016م.

02/ محمد حمد كنان ميغ: مظاهر الثّقافة الإسلاميّة العربيّة في تنبكتو وغاو وجنى في عهد الأساقي، مجلّة قراءات إفريقيّة 12 جانفي م، على الخط www.qirraat, african.com .

03/ ميغا هارون المهدي: جهاد العلماء الأفارقة في نشر الثّقافة الإسلاميّة العربيّة، غرب إفريقيا نموذجا قراءات متخصّصة، المنتدى الإسلامي 2008.

الفهرس

إهداء

شكر

مقدمة: 1

الفصل الأوّل: شخصيتا: عبد الرّحمان السّعدي والشّيخ القاضي بن محمود كعت وكتابيهما.8

1- كتاب "تاريخ السّودان": 8

1-1- شخصية الشّيخ عبد الرّحمن السّعدي (1004-1066هـ، 1597-1657م):..... 8

1-2-التّعريف بكتاب "تاريخ السّودان":..... 9

1-3-محتوى كتاب «تاريخ السّودان":.....10

1-4- أسلوب كتاب السّعدي وأهمّ المصادر المعتمدة فيه:.....13

2- كتاب تاريخ الفتاش 16

2-1- الشّيخ القاضي "بن محمود كَعْت": (872-1001م/1469-1594م):.....16

2-3 محتوى كتاب" تاريخ الفتّاش": 18

2-4 أسلوب كتاب "تاريخ الفتّاش"، وأهمّ المصادر المعتمدة فيه: 19

3- نقد وتقيّيم المصدرين:.....20

الفصل الثّاني: مملكة سنغاي في ظلّ حكم الأسقيا: محمّد التّوري (898-935هـ/1493-1538م).....25

1-1-أصل التّسميّة والموقع الجغرافي:.....25

1-2- التّركيبة السّكانيّة: 29

1-3- قيام مملكة سنغاي، وانتشار الإسلام فيها:.....31

2- مملكة سنغاي في عهد الأسقيا: محمّد(898-935هـ/1493-1528م): 36
2-1 تعريف االأسقيا: محمّد التّوري(898-935هـ/1493-1528م): 36
2-2- الإنتماء العرقي للأسقيا: 37
2-3- سيرته الذّاتيّة: 38
3-إصلاحات الأسقيا: محمّد في مملكة سنغاي: 40
3-1- ظروف توَلّي الأسقيا: محمّد توري للحكم: 40
3-2- جهوده في تنظيم مملكته: 42
الفصل الثالث: رحلة حج الأسقيا محمد 52
1-رحلة الحج وآثارها : 52
1-1-وصف موكب الحج: 52
1-2- آثار ومواقف في ديّار الحرمين: 54
1-3- الأثار السّياسيّة والحضاريّة للرّحلة: 56
2-أثر رحلة الحج في تنظيم مملكة سنغاي 59
2-1-الإصلاحات التي قام بها الأسقيا بعد عودته من الحج: 59
2-2-أثر شخصية المغيلي في حياة الأسقيا..... 62
2-3- نهاية عهد الأسقيا: 69
3- مملكة سنغاي بعد الأسقيا: محمّد..... 70
3-1-خلفاء الأسقيا: محمّد الكبير: 70
3-2- الغزو المغربي ونهاية مملكة سنغاي: 74
خاتمة: 80

الملحق رقم 01:.....83
الملحق رقم 02.....84
الملحق رقم 03:.....85